جامعةيحي فارس -المدية
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الموضوع:

الدولة العثمانية
في كتابات الرحالة المغاربة

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة ماستر في تاريخ الدولة العثمانية

إعداد الطالبتين:

- عبد الرحمن أمال
- شرايف ليلى

إشراف الأستاذ:

- د. دراجي بلخوص

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2021-2022

كلمة شكر

الحمد لله عز وجل مولانا وخالقنا على أن قدر لنا أن نحيا لحظات البحث هذه التي طالما كنا نسعى للوصول إليها، وقد سدد الله خطانا ووفقنا إلى أن أتممنا عملنا، فالحمد الله كثيرا وله الشكر شكرا عظيما.

كما يطيب لنا في هذا المقام ان نتقدم بالشكر الجزيل مع احترام والتقدير وكل معاني الحب والشكر إلى أستاذنا الفاضل دراجي بلخوص الذي اشرف على عملي هذا وخص جزءا من وقته في توجيهي ومتابعة عملي هذا .

لا يفوتنا أيضا في كتابة هذه الكلمات أن نوجه أسمى معاني الشكر والتقدير إلى أستاذنا الفاضل "بن شيخ" على كل مجهوداته ، فقد قدم لنا كل ما يملك من مساعدة لنا ، فجزاك الله عنا كل خير.

لا ننسى في هذا المقام أيضا أن نقف وقفة شكر وامتنان إلى جميع أساتذتنا الطيبين الذين لم يبخلو عنا حتى بأقل ما يملكون أملا في إنجاح هذا العمل بما في ذلك من بعيد أو قريب فلكم ثمرة جهدنا.

الاهداء

الحمد الله عز وجل على فضله العظيم

اهدي ثمرة عملي هذا إلى الذي ضرب أروع ما في التضحية من معاني من حرص على إيصالي إلى هذا المستوى والذي جعلني أعرف معنى الحياة.

إلى الذي إن عشت حياتي أرد جميلة لن أوفيه حقه أبي الغالي.

وأهدي ثمرة جهدي إلى نبع العطف والحنان أمي، والتي تحت قدميها الجنان ومهندسة سعادتي وحياتي التي رسمت طريقي نحو مكارم الأخلاق أولا وصوبت دراستي نحو لغة سمت فوق جميع اللغات .

والى إخوتي ميسوم و سيدعلي و محمد وأختي منال.

والى كل من عائلتي الصغيرة والكبيرة

والى صديقاتي مليكة وفاطمة وأمال وهاجر خالص الشكر والامتنان

كما أخصص كلمة شكر وتقدير لأستاذي دراجي بلخوص الذي كان مشرفا على عملي .

ليلى

الاهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى خير خلق الله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأزكى التسليم راجيا من المولى عز و جل أن يتقبله منا ويجعله علما ينتفع به إلى أعز ما أملك في هذه الدنيا والديا العزيزان اللذان ضحيا بالغالي والنفيس من أجل الوصول إلى هذه اللحظة أمي العزيزة الغالية وأبي حبيبي قرة عيني وإلى اخوتي" أمينة ولهة وابن أختي الكتكوت أسامة وأختي الغالية فاطمة" إلى صديقاتي ليلى "زيتونة"وفاء، أمينة، نجاة، سهام، سامية ، إلى روح الجار رحمه الله عامر الذي كان بمثابة الأب .

كما أتشرف أن أهدي هذا العمل إلى أستاذي الفاضل دراجي وأستاذ بن شيخ حكيم اللذان ساعداني في هذا العمل.

أمال

مقدمة

لقد شهد المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصاً، ازدهارًا كبيرًا، برز فيه النشاط الفكري والحضاري والاقتصادي، خلال القرن (18م) وذلك بفضل وحدة اللغة والعقيدة، ومن ثم العوامل التي ساهمت على هذا الازدهار الرحلة حسب نظر الكاتب، ونجد تعريفها بأنها اكتشاف المناطق المجهولة، أما الرحالة بصفة عامة يمكن أن يكون مكتشفا مغامرا أو سفيرا ، فتنوعت بتنوع أسبابها ومقاصدها العلمية وأحد ركائز الحضارة، يتم ذلك عن طريق تسجيل اهم الوقائع خاصة برحلاتهم السفارية ،حيث دونوا كتاباتهم التي هي عبارة عن مذكرات يومية أو تصور يومي للرحالة.

نذكر من هذه الرحلات كالسفر إلى ديار الدولة العثمانية ومن هذه بين الكتابات المغربية التي نُسجت على منوال الرحلات ومن أشهرهم خلال الفترة الحديثة الرحلة الموسومة بـ" الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، للعالم و المؤرخ المغربي أبي القاسم الزياني فقد حملت في طياتها صورا عن واقع المشرق الإسلامي، وتعتبر من الرحلات المميزة التي وضعوا فيها مؤلفات التي طبعت منها والأخرى لا تزال مخطوطة .

وقد عملوا جاهدين على نقل واقع الحياة من مختلف الجوانب سواء بالنسبة للجانب السياسي والثقافي والمناطق التي زاروها حيث أشار إلى عادات وتقاليدهم واحتفالاتهم بالإضافة إلى وصفه إلى معالمهم الحضارية.

أسباب اختيارنا للموضوع: دوافع إختيارنا للموضوع فقد نتوعت بين ذاتية وموضوعية فالأسباب الذاتية تتمثل كونها ميولات شخصية كانت لي الرغبة البحث والدراسة في هذا الموضوع، والتعرف على أهم الرحالة الذين زاروا الدولة العثمانية، بالإضافة إلى الشوق لمعرفة رحلة الزياني وما نقلت لنا عن الدولة العثمانية بصفة عامة أو خاصة كانت.

أما الأسباب الموضوعية معرفة أهم الرحالة المغاربة الذين وصفوا الدولة العثمانية من خلال كتاباتهم نذكر منهم: أبو القاسم الزياني، والمناطق التي زارها في رحلته، فهذه الرحلة تعتبر مصدرا من المصادر التاريخية التي تصور لنا واقع أحوال المشرق العثماني.

أهمية الموضوع:

هذا النوع من الرحلات عبارة عن مساعدة من أجل كتابة تاريخ البلدان، فقد تناولنا في هذا الموضوع وضف الدولة العثمانية من خلال رحلات المغاربة ومن بينهم أبو القاسم الزياني، حيث ذكر الزياني في رحلته نظام الحكم لدى العثمانيين، وأهم التشكيلات العسكرية .وأهم المناطق التي أعجب بها .

الإشكالية

تتمحور موضوع إشكالية الدراسة الذي بين أيدينا حول مدى مساهمة رحلة أبو القاسم الزياني في رسم صورة الدولة العثمانية من خلال كتابه الترجمانة الكبرى، فقد تطرق إلى عدة أوضاع (السياسية، الإجتماعية والإقتصادية) وهذا يدفعنا إلى التساؤل التالي:

- ❖ كيف وصف الزياني الدولة العثمانية ومدنها ؟

ولمناقشة هذه الإشكالية قمنا بجملة من التساؤلات التالية:

- من هو أبو القاسم الزياني ؟
- ماهي أهم مؤلفات أبو القاسم الزياني ؟
- كيف كانت الأحوال السياسية والإقتصادية في الدولة العثمانية ؟
- هل احتوت الدولة العثمانية على معالم آثرية ؟

الدراسات السابقة:

بعد الدراسات والبحوث التي قمنا بها نجد هناك أعمال سابقة اجتهدوا في هذا الموضوع، توجد دراسات تناولت بعض الجوانب من موضوعنا، ومن بين تلك الدراسات نجد التي أنجزتاها: ''الطالبيتين صورية حمومة ونسرين فاطمي ''بعنوان:'' صورة الدولة العثمانية من خلال رحلة أبي الحسن المقري أواخر القرن السادس عشر'' وهي رسالة لنيل شهادة الماستر.

المنهج المتبع في الدراسة:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على:

المنهج التاريخي الوصفي، اعتمدت عليه في معرفة تفاصيل حياة الرحالة أبو القاسم الزياني

أما المنهج الثاني: المنهج التحليلي، ساعدني في تحليل اخبار الدولة العثمانية من الناحية السياسية والاقتصادية و الاجتماعية التي قدمها الرحالة أبو القاسم الزياني

خطة البحث:

على حسب المادة العلمية المتاحة تتكون من:

مقدمة: التي تحتوي على تمهيد للموضوع، وأهميته وأسباب اختياره، كما طرحنا فيها إشكالية تخدم موضوعنا، وأهم المصادر والمراجع، ومبحث تمهيدي واعتمدنا على مباحث رئيسية **المبحث الأول**: التعريف بالكتاب والكاتب يندرج منه :المطلب الأول: التعريف بالكاتب(حياته العلمية وأسلوبه –طريقة تعلمه –مشايخه– مكانته العلمية–مؤلفاته) والمطلب الثاني: التعريف بالكتاب وفيه سير الرحلة وأهميتها العلمية أما **المبحث الثاني**: الأوضاع السياسية والاقتصادية و يتكون من: المطلب الأول: الوضع السياسي والعسكري بالإضافة إلى المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي، **أما المبحث الثالث**: الأوضاع الاجتماعية والثقافية ويندرج ضمنه: المطلب الأول: الوضع الاجتماعي بالإضافة لمطلب الثاني: الوضع الثقافي والديني، وأخيرا **الخاتمة**: تناولنا فيها مجموعة من الاستنتاجات المتوصل إليها من خلال البحث.

وأهم المصادر والمراجع: اعتمدنا في هذه الدراسة، جملة من المصادر والمراجع، ذات صلة بالموضوع، ومن المصادر وأهمها نذكر:

- أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا
- أبي الحسن التمكروتي النفحة المسكية في السفارة التركية
- محمد بن عبد الوهاب المكناسي إحراز المولى والرقيب.
- أتفيانو بون، سراي السلطان.
- ابو القاسم الزياني،الوجيز من الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمور برا وبحرا .

أما بالنسبة للمراجع فهي عديدة نذكر منها على سبيل المثال:

- احسان الدين أوغلو ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة

- سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة.
- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية .
- فاضل بيات، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي.
- علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية.
- عبد الرحيم بنحادة، العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة
- عبد السلام فهمي، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية
- لويس برنارد،استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية
- تسيير جباره ، تاريخ الدولة العثمانية
- خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية
- مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني

ومن المعاجم نجد:

- عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ الدولة العثمانية
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية
- س.موستراس المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ويحي محمد نبهان معجم مصطلحات التاريخ يشمل كتابة على معلومات هامة في الجغرافيان فهو يتحدث عن المدن والقرى والأمطار... فقد استفدنا منه في كل مدينة والتعريف بهاء كتاب شامل .

صعوبات الدراسة:

بالنسبة إلى الصعوبات التي واجهتني خلال دراستي ضيق الوقت ، بالإضافة إلى قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن الأوضاع العامة للعلاقات المغربية العثمانية

مبحث تمهيدي

يعد المغرب من بلدان التي سعت جاهدة لبناء علاقات طيبة مع العثمانيين حسب الزياني، في الوقت الذي كان حكام الجزائر يمارسون الفساد بتحريضهم لأمراء فاس وبعض المتمردين المقيمين بالغرب الجزائري السلب ونهب القبائل المخزنية والتآمر على حكام المغرب، وإزاء هذا كله لم يعد السلطان- لان محمد بن عبد الله أي موقف معاد، واكتفى بشكايتهم للسلطان العثماني.

كما في درساتنا في هذا الموضوع أن الخليفة أنا نجد الخليفة العثماني يعطى المبرر الكافي للسلطان المغربي كي يشن هجوما على الجزائر، لا سيما بعد أن أبرمت الخلافة العثمانية الصلح مع اسبانيا سنة (1197 هـ- 1782)[1] والذي نصت بنوده على أن الصلح مع اسبانيا سائر على جميع الايالات العثمانية ، ولكن الجرائر تمردت على تعليمات الخليفة العثماني ، وهو ما دفع الأخير أن يطلب وساطة السلطان محمد بن عبد الله للتدخل لدى داي الجزائر عثمان باشا.[2] حتى يحمله على الاستجابة لرؤسائه في اسطنبول ولم يسع المغرب إلا أن يتقبل هذا التشريف.[3]

سادت بين السلطنة المغربية والدولة العثمانية علاقات سياسية وعسكرية سلبية امتدت منذ مطلع القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر وكان ذلك بسبب محاولات العثمانيين لضم المغرب إلى دائرة نفوذهم في الوطن العربي: قادم المغاربة في عهد السعديين (1509 - 1958) والعلويين (1131) السياسة التوسعية العثمانية مرتكزين في ذلك على أسس قومية ودينية وعلى الدور التاريخي للتقرب ولم تقتصر طموحاتهم في ذلك على الدفاع من استقلال المغربية؛ بل تعدت إلى الدفاع عن الاستقلال الإقليمي للمغرب العربي وكذلك الرمان العربي شهدت العلاقات المغربية – العثمانية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر خفرتاً لحالة التوتر السياسي والعسكري لأسباب" موضوعية أملتها طبيعة التحديات التي واجهتها الدولة العثمانية على المستوى الدولي (أوربا) أو الإقليمي (الجزائر) لذا فقد بدأت منذ تلك الفترة أجواء طيبة من السلم والوه بين الجانبين

[1] جاءت اتفاقية الصلح بعد انتصار الأسطول الاسباني على الأسطول الإنجليزي في مايوركا Mayorca، فرأت الدولة العثمانية من الحكمة التقارب مع اسبانيا. انظر: عبد الهادي النازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**،أكاديمية المملكة المغربية، ج 9،1988 ،ص: 31.

[2] عثمان باشا (1766–1791م) من أشهر دايات الجزائر، تذهب بعض الروايات إلى أن أصله من بلاد قرمان (Caraman) جنوب الأناضول وعند قدومه إلى الجزائر ممكن من الانضمام إلى هيئة الخوجات، ثم ارتقى في المناصب لمعرفته للكتابة، إلى أن ولاه على خوجة وظيفة خز ناجي. تعرفه الوثائق بالمعظم المحترم. أنظر:- أحمد توفيق المدني، **عثمان باشا داي الجزائر 1761–1791م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص:162.

[3] في وقت سابق وبالتحديد سنة 1187 هـ الموافق لسنة 1773 م قام سلطان المغرب بإشعار داي الجزائر عثمان باشا بعطر الأسطول الإسبان الذي كان يتجهز للقيام بحملة على الجزائر بقيادة الأميرال أنطونيو باركلو . أنظر: – أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792**، ط 3، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 474.

وانتقلت بعدها العلاقة من المصالحة والسلم إلى التعاون ضمن إطار "التضامن الإسلامي" لمواجهة التحديات الأوربية المشتركة.

سادت بين السلطنة المغربية والدولة العثمانية علاقات سياسية وعسكرية سلبية أمتدت منذ مطلع القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر، وكان ذلك بسبب محاولات العثمانيين لضم المغرب إلى دائرة نفوذهم في الوطن العربي: قادم المغاربة في عهد السعديين (1509 - 1905) والعلويين (1131) السياسة التوسعية العثمانية مرتكزين في ذلك على أسس قومية ودينية وعلى الدور التاريخي للتقرب ولم تقتصر طموحاتهم في ذلك على الدفاع من استقلال المغربية ؛ بل تعدت إلى الدفاع عن الاستقلال الإقليمي للمغرب العربي وكذلك الرمان العربي شهدت العلاقات المغربية – العثمانية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر خفرتاً لحالة التوتر السياسي والعسكري لأسباب "موضوعية أملتها طبيعة التحديات التي واجهتها الدولة العثمانية على المستوى الدولي (أوربا) أو الإقليمي (الجزائر) لذا فقد بدأت منذ تلك الفترة أجواء طيبة من السلم والوه بين الجانبين وانتقلت بعدها العلاقة من المصالحة والسلم إلى التعاون ضمن إطار "التضامن الإسلامي" لمواجهة التحديات الأوربية المشتركة[1].

ولقد كانوا معلنين طاعتهم ويستعجلون في ضم بلادهم للمغرب بعد أن انتهت سيطرة الأتراك العثمانيين وخرجت البلاد من السيادة العثمانية بعد أن خلعت بيعتها للسلطان العثماني لأنه في رأي الوند ومشتغل لنفسه ومقره ، عاجز عن الدفاع عن ايالته القريبة من محله .. فكيف يمكنه الدفاع عن قطرنا وناحيتنا وبلدنا . . . . [2]

وقد قبل سلطان المغرب بيعة الرقد الجزائري بعد ثبرت شرعيتها وتأكيد الدور التاريخي للمغرب وأحقية السلاطين المغاربة بلقب "الخلافة" بدلا من السلطان العثماني وقد كان ذلك موقفا ثابتا للسلطنة المغربية في العصر الحديث لانتمائها إلى الدوحة النبوية الشريفة وأحقيتها في القيادة الروحية للمسلمين .

وقد عين السلطان المغربي ابن عمه علي ابن السلطان سليمان خليفة له على المغرب الأوسط "الجزائر* ودعمه بالجيش والأطر (الكرادر) الإدارية والعسكرية التي كان لها مكانة أدبية واجتماعية مهمة[3]

[1] انظر بالتفصيل : د. محمد علي داهش : العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث 1650 – 1830 ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد 18 السنة 1995 ، ص 161 – 175

[2] محمد بن العربي الزبيري ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1958 ، ص 81 – 95

[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ، دار الكتاب الدار البيضاء ، 1955 ، ج 9، ص 27

ولقد قام السلطان محمد بن عبد الله بتوجيه بيان، بعدة لغات لأعضاء السلك الدبلوماسي المقيمين بإيالته، كي يتسنى معرفة فحواه ، كان ذلك بتاريخ 2 ذي القعدة 1199 هـ الموافق لـ 5 1785 م ومما جاء فيه: "إن أهل الجزائر إن فعلوا مع جنس الإسبنيول (كذا) الصلح الذي أمرهم به السلطان العثماني نصره الله صلحا تاما كيف أمرهم ، فعلى بركة الله ، وإن لم يفعلوا ما أمرهم به فإننا نوجه عشرة فراكيط [1](كذا) من فراكيط الجهادية لباب مرسى الجزائر وتمنع جميع الأجناس النصارى من الدخول إلى الجزائر ، وكذلك الإسبنيول يوجهون عشرة من فراكيطهم (كذا) وهم يتكلمون مع أهل الجزائر وأنا " كلامي مع أجناس النصارى الذين يريدون الدخول الجزائر.[2] غير أن الزياني كتب عن الموضوع ما مضمونه أن "الخليفة العثماني راسل سلطان المغرب، وأبلغه أن يعرض عن أهل الجزائر لأنهم ما جاهدوده فعيه أن يحسن جوارهم ويغض الطرف عن جهلهم وأفعالهم ".[3]

أما فيما يخص علاقة المخزن بأتراك الجزائر قبل سلطان المغرب مضطرا فك الحصار المضروب، على سبتة ومليلة علاوة على نجاح اسبانيا في عدم وصول بعض المعدات الحربية إلى المغرب عن طريق جبل طارق والسبب في ذلك خدلان حكام الجزائر الأتراك لسلطان المغرب بعد أن كانوا اتفقوا معه في وقت سابق على مساندته في استرجاع سبتة ومليلة المغربيتين وكذلك وهران في الجزائر من يد الاسبان بتاريخ 05 محرم 1189 هـل الموافق لـ 18 مارس 1775 م وقد ارسل السلطان محمد بن عبد الله إلى علماء المغرب يستفتيهم وأمر حكام الجزائر لاسيما وأن داي الجزائر – حسب تعبير الرسالة الموجهة إلى العلماء – سلط نقمته على بعض مسلمي الجزائر الذين شاركوا في الحصار مع السلطان المغربي : لقد أباحوا دماءهم وروعوا أولياءهم وطوفوهم في الأزقة (كذا).[4]

ونحن نستغرب كيف أن بعض المؤرخين يعبر عن موقف الجزائريين هذا بالفضيحة، ولم نجد ما يعبر في مقابل ذلك عن اتفاقية فرنسا والمغرب لسنة 1767 م، وهي في مضمونها تحالف مع أجناس الكفار لضرب بلد

[1] أطلق اسم فرقاطة في الأصل على سفينة طويلة ضيقة الشكل، عرفت في البحر المتوسط، تشق الماء بواسطة مجاديف أو أشرعة مربعة، كانت ذات طابقين ما مدافع، وهي سريعة، يطلق اسمها اليوم على نوع من السفن الحربية. أنظر: – محمود محمد محفوظ، وآخرون، **الموسوعة العربية الميسرة** مج 4، ط 2، دار الجيل، بيروت، د. ت. ط، ص: 1738.

[2] النازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ج 9، ص: 33.

[3] الزياني، نفس المصدر السابق، ص: 84.

[4] النازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ج 9، ص: 48.

مسلم هي الجزائر، ثم الم يذكر احمد العزال سفر المغرب إلى كارلوس الثالث ملك إسبانيا [1]، في كتابه" نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد" وسبب فك السلطان عبد من عباد الله للحصار الذي ضربه على كل من سبتة ومليلة مرده إلى نصر الاتفاقية الخاطئ الذي أبرمه السفير نفسه نيابة عن سلطان المغرب مع إمبراطور إسبانيا كارلوس الثالث.[2]

ولقد آثار العلاقة العدائية بين المغرب والجزائر في هذه الفترة انتباهنا الى قلة اهتمام الكتابات التاريخية عن إمكانية وجود علاقات تجارية بين البلدين، ولعل سبب ذلك راجع إلى نقص المصادر في هذا الموضوع، وجل ما كتب عن العلاقات كان سياسيا لا أكثر وعن التوتر الذي كان حاصلا على حدود البلدين، لاسيما وأن الطرق التجارية البرية كانت غير آمنة وكان قطاع الطرق من القائل يقومون بنهب كل ما يمر في طريقهم [3] ولكن هذا لم يمنعنا من الوقوف على بعض النصوص ، التي أشارت إلى الموضوع ولو بشيء من الإنجاز ، إذ كتب لوي دوشي القنصل الفرنسي برسالة بتاريخ 16 رمضان 1189 هـ الموافق لـ 10 نوفمبر 1775 م جاء فيها : " أن الأتراك كانوا يستوردون من المغرب الشاشية (الطربوش) (كذا) ويطلقون عليه اسم طربوش فاس وقد حاول التونسيون والفرنسيون تقليد الشاشية المغربية إلا أنهم لم يتقنوها. [4]

كما تجدر الملاحظة كذلك، أن السلطان محمد بن الله، ظل يتملص من السماح للعثمانيين بإقامة سفارة أو قنصلية بالمغرب، معتذرا لهم بأن الأخوة بين البلدين ليست بحاجة إلى من يدعمها من وجود فصلية تركية بالمغرب.[5]

ولبعض المؤرخين في هذا رأي خاص حسب النازي . إذ يعتبرون أن التقرير يكشف عن كثير من الجوانب المبالغ فيها، كما يصور الخوف الذي يهيمن على العثمانيين، من المركز المرموق الذي كان السلطان المغربي ينعم

---

[1] ابن فليب الخامس، تولى حكم الإمبراطورية الإسبانية بعد وفاة أخيه الأكبر فرديناند، كان قبل ذلك أميرا على مدينة نابلي، له من الأبناء خمسة هم: كارلوس، فرديناند، كابريد، طوني، ومارية توريس (أي الثالثة). أنظر: – ابن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير، سلسلة الرحلات السفرية** المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1965، ص: 94-95.

[2] احمد بن مهدي الغزال، **نتيجة الاجتهاد في** المهادنة والجهاد، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 13.

[3] شحاته ص: 442 – 443، وكذلك: سامح، ص: 502.

[4] النازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ج 9، ص: 29.

[5] عبد الهادي النازي، **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1965، ص: 101– 102.

به، ليس بالمغرب فقط، ولكن عبر أقطار الأمة الإسلامية من الجزائر وتونس وطرابلس إلى مصر والحجاز وبلاد اليمن. [1]

آثار العلاقة العدائية بين المغرب والجزائر في هذه الفترة انتباهنا الى قلة اهتمام الكتابات التاريخية عن إمكانية وجود علاقات تجارية بين البلدين، ولعل سبب ذلك راجع إلى نقص المصادر في هذا الموضوع، وجل ما كتب عن العلاقات كان سياسيا لا أكثر وعن التوتر الذي كان حاصلا على حدود البلدين، لاسيما وأن الطرق التجارية البرية كانت غير آمنة وكان قطاع الطرق من القائل يقومون بنهب كل ما يمر في طريقهم [2] ولكن هذا لم يمنعنا من الوقوف على بعض النصوص ، التي أشارت إلى الموضوع ولو بشيء من الإنجاز ، إذ كتب لوي دوشي القنصل الفرنسي برسالة بتاريخ 16 رمضان 1189 هـ الموافق لـ 10 نوفمبر 1775 م جاء فيها : " أن الأتراك كانوا يستوردون من المغرب الشاشية إلا أنهم لم يتقن(الطربوش) (كذا) ويطلقون عليه اسم طربوش فاس ، وقد حاول التونسيون والفرنسيون تقليد الشاشية المغربية وها. [3]

_ فكاك الأسرى المسلمين:

من الغايات النبيلة التي كان يتوخاها المغرب على عهد السلطان محمد بن عبد الله في سياسته الخارجية، بعد إقرار الأمن وتنمية الاقتصاد الوطني، فكاك الأسرى المسلمين الذين كانت تعج بهم بعض الدول الأوربية، والذين وقع أغلبهم في قبضة القراصنة الأوربيين. فلقد بلغ عدد ما افتداه، السلطان العربي من أسرى مغاربة وجزائريين وأتراك وغيرهم، أو كان ما في فدائهم 50 ألف أسير، بعث في افتدائهم سفارات مهمة إلى عدد من الدول الأوربية، على غرار سفارة أحمد العزال وسفارة ابن عثمان. [4] اللتين كانتا من أكبر وأهم السفارات في افتداء الأسرى.

[1] النازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ج 9، ص: 38.

[2] شحاته ص: 442 – 443، وكذلك: سامح، ص: 502.

[3] النازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ج 9، ص: 29.

4 كنون عبد الله، مشاهير ذكريات رجال المغرب في العلم و الأدب و السياسة، ج1، ط1، دار ابن حزم، الدار البيضاء، 2010، ص: 16-17.

_ سفارة ابن عثمان المكناسي:

في سنة (1193 هـ - 1779) بعث السلطان محمد بن عبد الله سفره ابن عثمان المكناس إلى اسبانيا لتجديد الصلح بيم الدولتين ، وحسب ما اورده " دوشيني" القنصل العام الفرنسي بالمغرب: الان قطع العلائق السياسية بين فرنسا وانجلترا فجر الوضعية السياسية بأروبا ، فرأت اسبانيا أن الوقت مناسب للتقرب من إمبراطورية الغرب (كذا).[1]

وقد استطاع ابن عثمان أن يحرر عددا من الأسرى المسلمين الذين لقيهم بإسبانيا ، ووزع على من بقي منهم المؤونة والكسرة ، كما عبر ابن عثمان يسخط وأسى كبيرين من حال هؤلاء الأسرى لاسيما أسرى الجزائر منهم : " إن الولاة الأتراك بالجزائر لا يكترثون لافتداء الأسرى العرب من أهل الجزائر ، بل إنهم يهتمون بأبناء جلدتهم من الأتراك [2] أكثر ما يهتمون بأبناء الجزائر العرب.[3]

وقد طرح ابن عثمان المسألة على ملك اسبانيا، الذي رد بأنه لا يقدر على تلبية طلبه بالكامل، لأن هناك بالمقابل أسرى اسبان بالجزائر، هو يتوق إلى إطلاق سراحهم، ومع ذلك فقد منحة مجموعة من الأسرى اختارهم ابن عثمان بنفسه، فكان عدد ما افتداه ابن عثمان مائة وعشرون أسيرا (120). ولما عاد ابن عثمان إلى المغرب وصل معه الأسرى المغاربة في مهرجان عظيم، بما فيهم أسري الجزائر، واحتفلوا احتفالا لم يسل للأسرى أن احتفوه.[4]

وفي سنة (1195 هـ- 1785 م)، كلف ابن عثمان بسفارة أخرى إلى نايلي كانت ناجحة، وقد ألف فيها كتاب سماه " البدر السافر في افتكاك الأسرى من يد العدو الكافر " [5]

كما كانت للسلطان للعرب محاولة أخرى لاقتداء عدد من الأسرى الأتراك من أوربا، ولكن مساعيه هذه المرة باءت بالفشل، فما كان منه إلا أن بعث بفديته بواسطة سفير له إلى الخليفة العثماني، وأبلغه: " أن المال

---

[1] محمد الفاسي، **الكاتب الوزير ابن عثمان المكناسي**، دار كريما ديس للطباعة، تطوان، 1960، ص 8_9.

[2] **الفاسي**، ص: 13.

[3] برر أتراك الجزائر سبب رفضهم افتداء أسراهم، بأن لديهم في الجزائر قانونا خاصا يمنعهم من استرجاع الأسر كيفما كان أمره، أنظر: - المدني، **محمد عثمان باشا**، ص: 208.

[4] **الفاسي**، ص: 13.

[5] **المكناسي** ، ص : ك ،(المقدمة).

الرسل إليه كان في سبيل فك الأسرى الأتراك، ولكن الكفار ردوه عليه، فلا يحق أن يرجع المال إلى الغرب وعلى الخليفة العثماني أن يفتديهم به أو ينفقه في الجهاد أو فيما ظهر له " [1] فرد عليه الخليفة العثماني برسالة جاء فيها: " سنعمل على افتداء الأسرى، وإن فقراء مكة والمدينة أحوج إلى النقود. " وقد وضع الخليفة العثماني المال في دار الودائع للمحافظة عليه. ووجد المحافظون في اسطنبول أن تصرف الخليفة العثماني كان تصرفا جيدا.[2]

عزز السلطان المغربي هذه السفارة بسفارة أخرى واغتنم الفرصة ليقدم شكوى إلى الخليفة العثماني في شأن حكام الجزائر، فما كان من الخليفة إلا أن بعث بدوره سفيرا إلى المغرب رفقة السفير المغربي المدعو " العوني " ومعه كتاب اعتذار من الخليفة إلى السلطان، عما صدر من سوء معاملة من أهل الجزائر. [3] لكن السفير العثماني بدل أن يفهم سفير المغرب أمر الاعتذار العثماني الرسمي، أبلغه : "أن لديه مكاتب إلى باشا الجزائر وباشا تونس ليكونا عند أمر سلطان المغرب" ، ففهم العوني أن الخليفة العثماني ولى أمر الجزائر وتونس لسلطان المغرب ، فلما بلغا طنجة لم يتأخر العوني في إبلاغ السلطان ، وأقيمت مراسيم استقبال مهيبة للسفير العثماني .[4] ولما وصل إلى حضرة السلطان وفتحت رسائل الخليفة العثماني على مسمع من الرعية والحاشية ، وجد أنها لا تعدو كونها اعتذار

[1] **الزياني**،نفس المصدر السابق، ص: 83.

[2] **سامح**، ص: 500.

[3] **الفاسي**، ص: 16-17.

[4] **الزياني**، نفس المصدر السابق ص: 83-87

المبحث الأول

التعريف بالكتاب والكاتب

المطلب الأول:تعريف الكاتب

المطلب الثاني:تعريف الكتاب

المبحث الأول: تعريف بالكتاب والكاتب

المطلب الأول:تعريف الكاتب

أ. حياته

ب. مسيرته

ت. مهامه

ث. مؤلفاته

المطلب الثاني: تعريف بالكاتب

1- مراحل الرحلة

2- سير الرحلة

3- أهمية الرحلة

تمهيد:

لقد اهتم المغاربة بأدب الرحلات لكونه مصدر معرفي تاريخي، هذا نتيجة عوامل مختلفة ومتشابكة أهلت الرحلة بان تحمل في طياتها صورا عن واقع المشرق الإسلامي في جميع ميادينه وقد ارتقى أدب الرحلات ليصبح فنا أصيلا فارتقى إلى مستوى الإبداع وازداد اتساعا وخصوبة في بلاد المغرب الإسلامي عند المغاربة والأندلسيين لما عرف عنهم من رغبتهم في الأخذ عن الشيوخ وزيارة الأماكن المقدسة وجولاتهم من أجل الاطلاع والبحث وانعكاسكل تلك المعارف في البلاد التي وصلوا إليها خلال سير رحلاتهم، من هنا كان واجبا على الباحثين الاطلاع على كتب الرحالة لما لها من أهمية بالغة في رسم صورة عن الحياة بمختلف جوانبها على مدى العصور والأزمنة، للمشرق الاسلامي وخاصة في نقل طبيعة الحياة الفكرية التي انعكست صورتها في أدب الرحلات.

تراكم الرحالة المغاربة عبر تاريخهم الطويل العديد من الرحلات الشاهدة على أسفارهم إلى البلدان المختلفة، مسجلين فيها مشاهداتهم وانطباعاتهم، وإذا كانت الرحلة الحجازية ظلت على الدوام تحتل المكانة الأولى ضمن أصناف الرحلات المغربية المدونة. فان القرن الثامن عشر شهد بروز نوع آخر من الرحلات اتخذ صبغة أخرى، وهذا استنادا إلى التطورات الداخلية والخارجية التي شهدها المغرب انذاك، وقد اشتهر هذا النوع من الرحلات عند المؤرخين بالرحلات السفارية، وفي هذا الشأن تعتبر رحلة أبو القاسم الزياني الموسومة ب:"الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا و بحرا" من أهم الرحلات التي زخر بها التراث المغربي، بل إنها علاوة على ذلك أضحت تعد من أهم المصادر التي تنطوي على رصيد هام من المعلومات والمعارف التي تخص النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافة المتعلقة بالبلدان التي زارها هذا الرحالة والسفير المغربي.

وانطلاقا من الأهمية التي اكتستها هذه الرحلة في الدراسات التاريخية جاءت هذه الدراسة تهدف إلى التعريف بها وتسليط الضوء على أهم القضايا التي اشتملت عليها وتبيان أهميتها التاريخية.

المطلب الأول: تعريف بالكاتب

1- تعريف بالكاتب

أ. حياته

ولد أبو القاسم الزياني في فاس بالمغرب. كان جده يؤم الصلاة في عهد إسماعيل بن علي الشريف المولى إسماعيل سلطان المغرب. ولأن المغرب مر، بعد وفاة إسماعيل، بفترة اضطراب سياسي كبير، اعتزم عمر، والد أبي القاسم، الرحيل عن المغرب والمجاورة في المدينة المنورة . فحزم أمره وخرج سنة ،بعد أن باع دارين كان يملكهما بفاس، وكتباً كان والده قد خلفها، وجمع من ذلك ما يبلغه مراده.

كان أبو القاسم يومها في الثالثة والعشرين من عمره لما رحل مع والديه عن المغرب. وكان قد تلقى العلم عن أبيه وأصدقاء أبيه، وهم في الطبقة الأولى من أهل المعرفة بفاس. فنال حظه من فقه إسلامي الفقه وحديث نبوي الحديث وعلم التفسير التفسير ونحو عربي النحو و منطق المنطق . وكان ثمة كُناش لجده، فضلاً عن كنّاشات أخرى للعائلة، هو الذي نبهه للعناية بالتاريخ والأنساب. بلغت الأسرة مصر، وأشار بعضهم على والده أبي القاسم بركوب البحر الأحمر إلى الحجاز ، واشترى له سلعة بقصد التجارة. فلما كانوا في مرسى ينبع تكسر المركب وضاعت السلعة وتلفت الأسباب. عندها أخرجت الوالدة من حزامها 300 دينار، اكترت الأسرة منها ركباً لجدة ومكة المكرمة وحصّلت الحج، وعادت بعد ذلك إلى مصر، تمهيداً للعودة إلى المغرب. فالمجاورة لم تعد ممكنة.[1]

قبل وصول الأسرة إلى فاس بعام واحد كان محمد الثالث بن عبد الله محمد بن عبد الله قد تولى سلطاناً للمغرب. يقول أبو القاسم ولما استرحنا من السفر بعد العودة إلى فاس، عدت للقراءة كما كنت، ولما سألنا عمن كنا نألفه من الطلبة في القراءة والأنس، وجدنا أكثرهم تعلق بخدمة السلطان سيدي محمد لما بويع.. فلما بلغني خبر رفيقي سعيد الجزولي وغيره شرهت نفسي للحاق بهم، وتعلقت همتي بخدمة السلطان. وقد عارض والده في ذلك لأنه كان يخشى أن يصيب ابنه ما يصيب الناس في بلاط الملوك إذ يرتفعون ويهبطون ويسرون ويأملون

[1] أبو القاسم الزياني، **الترجمانه الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا 1147-1249هـ الموافق لـ 1734-1904م**، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، د. ت. ط، ص: 84.

ويفرحون ويترحون ويسجنون وتصادر أملاكهم. لكن أبا القاسم لم يقبل نصيحة والده، وأصبح كاتباً في بلاط محمد بن عبد الله.[1]

أصاب الفتى ما خشي منه والده. فبعد عشر سنوات طرد من الخدمة، وظل مهدداً بالقتل. لكن السلطان عرضت له مشكلة فيما بعد، فلم يجد من يحلها له سوى الزياني، فأعاده إلى ما كان عليه، وزاد في إكرامه. ثم كلفه القيام بمهمات كثيرة، أداها جميعها بنجاح كبير.

ووجهه سلطان المغرب سفيراً عنه إلى الخليفة العثماني، عبد الحميد الأول. فكان خير سفير. ولم يدون أبو القاسم في رحلته المسماة الترجمانة الكبرى أخبار رحلته الأولى، فقد كانت هذه رحلة أبيه. أما هذه فهي رحلته لذلك فإنه يفصل أخبارها.

ولم يكن أبو القاسم الزياني في البلاط المغربي بعد عودته من استانبول، حتى توفي السلطان محمد بن عبد الله، وتولى الحكم ابنه يزيد الذي كان يمقت الزياني. فزجه في السجن وصادر أملاكه. ومع أنه رضي عنه، فإنه أعاده إلى السجن وعذبه.

رغم كون مؤرخ الدولة العلوية ينحدر من عائلة بربرية في جبال الأطلس المتوسط المستقرة بقبائل زيان، كانت الظرفية التي عاشها الزياني تتسم بكثرة المناوشات داخل المغرب بين القبائل وكان سيدها بدون شك القبائل البربرية على اعتبار الجهد الذي كلفوه للمولى إسماعيل في تثبيت ملكه في المغرب، قبائل لا تلين باللطف بل بالسيف والعنف يقول الزياني[2]

اقتباس خاص وحاربوا الوطاسيين من بين مرين إلى أن غلبوهم على ملك المغرب... وادعنوا الطاعة وصاروا من جملة القبائل الغارمة،... وغلب السلطان مولاي إسماعيل منهم على أهل المغرب عربهم وبربرهم، باستعمال العسكر... وقد بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا، فاستراحت دولة العلويين من عبث البربر نحو خمسين عاما إلى أن مات المولى إسماعيل...، وساءت أحوال المغرب معهم إلى أن رحمهم الله بولاية السلطان سيدي محمد

[1] أبو القاسم الزياني، **المرجع سابق** ص: 84.

[2] الزياني، ،نفس المصدر السابق، ص 85-86.

بن عبد الله، فساسهم بحمله وبحزمه... ولما بويع ولده أمير المؤمنين مولانا سليمان ملك وقتنا أبقاه الله، ساسهم سياسة والده بالرفق والحلم والإضاء عن هفواتهم، فأطغاهم حلمه، وأفسدهم عدله، ولم يرهف لهم جدا.[1]

هذا التعنت الكبير للبرابرة ورفض محاولة العيش معا في ظل حكم واحد مع العرب لكن الغريب أن الزياني عندما يؤكد على حال البرابرة لا يلجأ إلى أي استشهاد قرآني لأجل دعوتهم إلى الوحدة وطاعة أولي الأمر، إلا أنه بالمقابل ذهب إلى انتقاد ابن خلدون (وهو عربي) عندما ذهب إلى مدح هؤلاء باعتبارهم يتحلون بأخلاق فاضلة وتنافس في الخلال الحميدة.السياسية لأبي القاسم الزياني مجلة فكر ونقد.

ب. مسيرته

قام برحلته الأولى لأداء الفريضة والزيارة سنة 1169 هـ غرق في بحر قزوين وتلف المال ورجع إلى المغرب سنة 1171 هـ تعلق بالكتابة والخدمة السلطانية ونهي والده عنهما إلى أن حصلت له النكبة سنة 1184 حيث نفذ مال والده وباع جميع كتبه تخلص من النكبة والرجوع للخدمة والتمكن في الدولة وما تخلل ذلك من الحوادث، تولى الخلافة في نواحي مكناس إلى أن عيّن سفيرا إسطنبول بإسطنبول عام 1200 إلى 1204 هـ في محاولة لتسوية الخلافات مع الجزائر، عين في ما بعد تعيينه سفيرا للمغرب إلى إقليم الأندلس . جائت بعدها النكبة في أيام السلطان اليزيد وتقلب في سجون المغرب، خرج من السجن بعد أن توفي اليزيد وأخرجه أهل الرباط منه وبايع السلطان مولاي سليمان، الذي كان يعرف للزياني مكانته ومقامه وخبرته وتجارته ومقدرته، فأرغمه على أن يتولى ولاية مدينة وجدة سنة 1206 هـ / 1792 م بالإكراه، في الشرق من المغرب . وخرج الزياني، حسب ما يقول، إلى مقر عمله مرغماً، ومعه ركب التجار الذي كان محصوراً بفاس. فخرج عليهم العرب فقتلوا من قتلوا منهم. فانسل أبو القاسم «فاراً بجلده سائماً من الخدمة السلطانية». وتوجه إلى تلمسان ووهران فأقام في العباد سنة ونصف السنة مشتغلاً بالمطالعة والتقييد والتأليف. واطلع هناك على غرائب كتب التاريخ التي تعد اليوم في حكم المفقودة.[2]

[1] برر أتراك الجزائر سبب رفضهم افتداء أسراهم، بأن لديهم في الجزائر قانونا خاصا يمنعهم من استرجاع الأسر كيفما كان أمره، أنظر: – المدني، **محمد عثمان باشا**، ص: 208.

[2] أبو القاسم الزياني، **الترجمانه الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا 1147–1249هـ الموافق لـ 1734–1904م**، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، د. ت. ط، ص: 84.

سافر إلى القسطنطينية ثمّ إلى تونس ثم إلى إسطنبول ومن ثم إلى إلى دمشق شام (توضيح) الشام *دار السلام* كما لقبها. زار إقليم الشام وبها من المدن والهياكل ومزارات الأنبياء والأولياء والصحابة والعلماء. بعدها قام برحلة إلى شبه الجزيرة العربية الجزيرة العربية ثمّ إلى بلاد الرافدين بلاد ما بين النهرين، ودخول بغداد فالمدينة ثمّ مكة لأداء مناسك الحج (توضيح) الحج. تنقل لل اليمن يمن ثمّ بلاد الزنج و إثيوبيا الحبشة وأرض الهند وسند (توضيح) السند وأرض جمهورية الصين الشعبية الصين. عاد إلى مقامه في مصر ثمّ الإسكندرية ثمّ الجزائر ثمّ رجوعه إلى فاس وعودته للخدمة السلطانية، فاستقبله السلطان سليمان وولاه تفتيش مراسي المغرب ومراقبة عمالها، ثم اتخذه كاتباً ووزيراً وحاجباً. وبعد سنوات نكبه السلطان نفسه، وأنزله عن ولايته. وانصرف أبو القاسم بعد ذلك إلى الكتابة والتأليف حتى وفاته.أبـو القاسـم الزيانـي والماس.[1]

ت. مهامه:

ومن ناحية أخرى كلف أبو القاسم الزياني في سنة 1200هـ-1786م من طرف السلطان محمد بن عبد الله بالقيام بمهمة سفارية إلى الدولة العثمانية [2]، وهذه السفارة تندرج في إطار تعزيز العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب والدولة العثمانية والجدير بالذكر أن أبو القاسم الزياني قد أبان في هذه السفارة عن كفاءة دبلوماسية كبيرة، ويظهر ذلك من خلال النتائج السياسية التي ترتبت عنها[3].

[1] أبو القاسم الزياني، **الترجمانه الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا 1147-1249هـ الموافق لـ 1734-1904م**، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، د. ت. ط، ص: 84.

[2] كان وراء ارسال السفارة المغربية إل اسطنبول مجموعة من الأسباب ب وهي :أولا: رغبة السلطان المغربي في إشعار العثمانيين بمدى اضطراب الأوضاع في الحدود بين الجزائر و المغرب نتيجة للسياسة التي اتبعها الولاة العثمانيين، ثانيا: رغبة الدولة في إلقاء القبض على الخونة الذين احتلسوا مال الدولة الموجه للجهاد، وجاءت هذه الرحلة أيضا تلبية لطلب السلطان محمد بن عبد الله في اقتناء بعض الكتب الدينية التي كلفه بشرائها كمسند أبي حنيفة النعمان و الشافعي للمزيد أنظر: محمد بن عبد العزيز الدباغ، أبو القاسم الزياني مؤرخ الدولة العلوية في كتاب الترجمانة الكبرى، مجلة دعوة الحق، ع3،السنة 13،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب،1970،ص192،191.

[3] من أهم النتائج التي أسفرت عنها سفارة الزياني إلى اسطنبول هي: استجابة السلطان محمد بن عبد الله لطلب الاستقراض الذي تقدمت به الدولة العثمانية، حيث قدم لها مساعدات مالية وعسكرية، وذلك لمساندتها في الحرب التي نشبت بينها وبين روسيا في القرن الثامن عشر، للمزيد أنظر: عبد الحق الخيلي، رحلة أبو القاسم الزياني إلى الأستانة 1200هـ-1786م السياق و النتائج، ج2، تنسيق البشير أبرزاق،ط1، 2020م،ص 115،127.

بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله وتولي ابنه اليزيد الحكم تراجع دور أبو القاسم الزياني الذي عايش فترة صعبة جراء تعرضه للكثير من المضايقات[1]، غير أنه ومع بداية حكم السلطان مولاي سليمان [2] بدأت مرحلة جديدة من حياته، حيث أنه مزج في هذه الفترة بين المهام السياسية الكبرى كالوزارة والحجابة والنشاط العلمي[3]، وشهدت هذه المرحلة أيضا قيامه برحلته الثانية نحو المشرق العربي، حيث عرج من خلالها على الكثير من المناطق كالأستانة والحجاز ومصر وبلاد الشام، وقد سمحت له هذه الرحلة بلقاء العلماء و تنمية معارفه وكذا الاطلاع على الأوضاع العامة بهذه الأقاليم[4].

انصرف أبو القاسم الزياني في الفترة الأخيرة من حياته إلى التأليف و التدوين، وقد ترك تراثا أدبيا متنوعا في التاريخ والجغرافيا واللغة والفقه، وهذه المصنفات دون معظمها مابين سنتي 1794م-1833، وهي الفترة التي انعزل فيها عن العمل السياسي، والملاحظ أن الزياني كانت له عناية كبيرة بالتاريخ، فهو يعد من أهم مؤرخي الدولة العلوية كونه عاصر ثلاث سلاطين هم: المولى محمد بن عبد الله وابنه اليزيد والسلطان سليمان[5]، وهذه المكانة التي اكتسبها الزياني لاشك انها ترجع إلى مجموعة من العوامل ساهمت في تكوين شخصيته، حيث جعلت منه سفيرا وكاتبا ومؤرخا ورحالة وله دور كبير في الحياة السياسية والأدبية والفكرية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر [6].

ث. مؤلفاته

ترك أبو القاسم الزياني بعد وفاته عددا كبيرا من المؤلفات بلغت حوالي 15 مصنفا شملت مختلف العلوم والفنون كالتاريخ و الجغرافيا و الأدب ، و الفقه، و الانساب و التراجم و غيرها.

---

[1] يذكر أب القاسم الزياني في كتابه الترجمانة الكبرى أنه عايش عدة نكبات ، من بينها النكبة التي المت به بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله، فعلى إثر تولي ابنه السلطان اليزيد الحكم تم عزل أبو القاسم الزياني من منصبه ،كما تعرض للسجن ومصادرة أملاكه، للمزيد أنظر: أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط، 1991م، ص139.

[2] مولاي سليمان: هو ابن السلطان مولاي محمد بن عبد الله، تولى الحكم في سنة 1796مبعد فترة من الصراع بين الاخوة على السلطة، اشتهر بالعلم و الصلاح، استطاع توطيد حكمه بالقضاء على خصومه فامتد حكمه إلى الواحات في أقصى الصحراء، شهد عهده ظهور الكثير من الثورات أبرزها ثورة البربر1811م و ثورة الشراردة بمراكش. للمزيد أنظر: محمود علي عامر و آخرون، تاريخ المغرب العربي الحديث، دط،ددن، جامعة دمشق، دت، صص120-126.

[3] مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية و الشرق العثماني- محاولة في بناء الصورة ،ط1،دار الانتشار العربي، بيروت، 2005م، ص237.

[4] عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص159.

[5] ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الاسلامي،ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزاءر 1999م، ص477.

[6] عبد الحي الخيلي، المرجع السابق، 117.

لكن الملاحظ أن معظم مؤلفاته واهتمامه قد انصب بشكل كبير على التاريخ[1]، فمن ضمن أهم ما دونه في هذا المجال " الترجمان المعرب عن دول المشرق و المغرب" وهو مصنف في التاريخ العام تناول فيها لتاريخ الاسلامي عامة وأفرد حيزا مهما للحديث عن تاريخ المغرب والأسر الحاكمة فيه كالأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والأسرة السعدية و العلوية[2]، وإلى جانب ذلك يبرز كتابه الآخر" البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف" والمعروف أيضا" الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية"، وهذا المؤلف اهتم بتاريخ الدولة العلوية من جهة كما أرخ لبعض مراحل الدولة العثمانية[3]. ومن ضمن مؤلفاته الأخرى والتي تؤرخ لتاريخ المغرب كذلك" تحفة الحادي في رفع نسب شرفاء المغرب"و"ألفية السلوك في وفيات الملوك"[4] .

و أما فيما يخص مصنفاته الجغرافية فمن بينها " رحلة الحذاق لمشاهدة الآفاق"، وفي الأدب له كتاب" إباحة الأدباء و النحاة في الجمع بين الأخوات الثلاث"[5]، وغيرها من الكتب التي لا يسع المقام لذكرها[6].

وإذا كان أبو القاسم الزياني قد عرف عن اهتمامه الكبير بالتأريخ للدولة العلوية خاصة ولتاريخ المغرب عامة باعتباره كان يمثل أحد أفراد النخبة المغربية، فان شهرته ارتبطت أيضا بكتابه الضخم والموسوعي المعروف ب" الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا"، والذي يضم بين طياته أنواعا شتى من المعارف فهو علاوة على كونه

[1] ترجع عناية أبو القاسم الزياني الكبيرة بعلم التاريخ و الأنساب إلى اطلاعه قبل رحلته الاولى على أحد المصنفات التي تركها جده علي ابن ابراهيم التي تتعلق بالتاريخ الأمر الذي أحدث عنده فضولا علميا دفعه إلى الاهتمام و العناية بالبحث التاريخي و التراجم والسير. للمزيد أنظر: محمد بن عبد العزيز الدباغ، المرجع السابق، ص189.

[2] أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، ج2، 1957م، جامعة الدول العربية،ص771.

[3] أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تح: رشيد االزاوية، القسم الأول، مركز الدراسات و البحوث العربية، المغرب،دت، ص13،14.

[4] العربي حمدي، التأليف التاريخي في العهد العلوي، أبو القاسم الزياني نموذجا، ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية، وجدة ، المغرب،1993م، ص240.

[5] بروفنسال، المرجع السابق، ص 114،115.

[6] للاطلاع على أهم مؤلفات الزياني أنظر: براهيم حركات، التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1994م، ص ص 202-205.

يعد سيرة ذاتية لمؤلفه يعتبر ايضا مصدرا تاريخيا ليس لتاريخ المغرب بل لكثير من الأقطار التي زارها كالمشرق العربي و الدولة العثمانية[1].

خلّف أبو القاسم كتباً متنوعة، لكن أطرفها كتاب الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً. وهو كتاب طريف أن لم نقل أنه فريد من نوعه. وقد قال عنه مؤلفه في خاتمته «هذه الرحلة المسماة الترجمانة الكبرى التي جمعت مدن المعمورة كلها براً وبحرا». الأصل في الترجمانة أنها تدور حول صاحبها. فهي أساساً سيرة ذاتية، ولو أنها ليست تامة، وتسجيل دقيق لما دار من الحديث مع أولئك الذين اجتمع بهم في الديار المقدسة ومصر واستانبول.

تروي الترجمانة أخبار ثلاث **رحلات** قام بها أبو القاسم الأولى إلى الحجاز ومصر، والثانية كانت إلى الآستانة سفراً لملك المغرب والثالثة للمشرق، لقد أنتج من الكتب ما يلي:

- الترجمان المقرب عن دول المشرق والمغرب.
- الترجمانة الكبرى.
- البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف.
- الغياث السلوك في وفيات الملوك. (شرح هذه الألفية في عدد من الدول الإسلامية أثناء زيارته لها).
- الدرّة الفائقة في الردّ على أهل البدع والزنادقة.
- الحادي المطرب في رفع نسل شرفاء المغرب.
- درّة السلوك فيما يجب على الملوك.
- رحلة الحذاق لمشاهد الأفاق(في الجغرافيا)
- ياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ المولى سليمان
- كشف الأسرار في الردّ على أهل البدع الأشرار
- رشف الحميا في علم السيميا وبطلان علم الكيميا.
- نصيحة المغترين في بطلان التدبير للمعترين.
- التاج والإكليل فيما يسر السلطان الجليل

[1] نيكولا زيادة، أبو القاسم الزياني و كتابه الترجمان الكبرى، ضمن كتاب افريقيات: دراسة في المغرب العربي و السودان الغربي، ط1، منشورات رياض الريس للكتب و النشر لندن،1991م، ص237،238.

- تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء.
- شرح الحال والشكوى للكبير المتعال (منظومة).
- تاريخ الولاية المحمودة البدء والنهاية (في التعريف بالمولى عبد الرحمن بن هشام).قصة المهاجرين المعروفين بالبلدين بفاس.
- الروضة السليمانية في ملوك الدولة العلوية ومن تقدمها من الدول الإسلامية.
- المقامة الفاسية

المطلب الثاني:تعريف الكتاب

حسب ما ذكرنا في ترجمة الزياني، نلاحظ أن أبو القاسم الزياني قد عرف بكثرة رحلاته إلى مختلف الأقطار والأمصار، وقد جمع الزياني وعرض أخبار تلك الرحلات في مصنفه الشهير الموسوم ب" الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا"، والذي تم تدوينه عام 1818م، وهو يضم ما قيده من ملاحظات ومشاهدات خلال رحلاته الثلاث التي قام بها[1].

تعريف بكتاب الترجمانة الكبرى

اسم الكتاب الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا

صورة غلاف كتاب الترجمانة الكبرى 204 بك

لون الغلاف أحمر فاتح

حجم الكتاب: طول 28 سم وعرضه 18سم

مؤلفأبوالقاسمالزياني

لغة الكتاب: عربية

نوعأدبيأدبالرحلات

عدد الصفحات 659

عدد الأجزاء واحد

تاريخ الإصدار القرن الثامن عشر

سنة الطبع:1991 ط. 2

الناشر دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع

[1] راتشكوفسكي، المرجع السابق، ص771.

البلد الرباط، المغرب[1]

[1] مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية و الشرق العثماني- محاولة في بناء الصورة ،ط1،دار الانتشار العربي، بيروت، 2005م، ص237.

1. مراحل الرحلة

بالعودة إلى هذه الرحلات نجد أن رحلته الأولى كانت سنة 1755م وتمت في عهد السلطان العلوي محمد بن عبد الله وكان سنه أنذاك لا يتجاوز ثلاثة و عشرين سنة، حيث انتقل الى الحجاز رفقة والديه لأداء مناسك الحج و المجاورة بالحرمين الشريفين، و الواقع أن هذه الرحلة قد جاءت في ظل الظروف المضطربة التي عانى منها المغرب في تلك الحقبة، وقد استغرقت رحلته ما يقرب عن سنتين قضى معظمها بين مصر و الحجاز[1]، ولا يذكر الزياني عن هذه الرحلة الشيء الكثير سوى النكبة التي تعرض لها و أنها أفادته في تنمية بعض معارفه خصوما فيما يرتبط بعلوم السيميا التي نالت اهتمامه[2].

وأما الرحلة الثانية للزياني فالملاحظ أنها تختلف عن الأولى، إذ اتخذت صبغة خاصة فقد جاءت في ظل المهمة التي كلفه بها السلطان العلوي محمد ابن عبد الله سنة 1786م إلى الأستانة فنتيجة للمكانة التي كان يحظى بها ترأس الزياني السفارة المغربية التي بعث بها إلى السلطان العثماني[3]، و بالرغم من أن الزياني كغيره من السفراء المغاربة لم يفصح عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء سفارته، إلا إنه يستفاد من مصادر تلك المرحلة أن دواعي المهمة التي كلف بها تعود إلى تصاعد التوتر في العلاقات بين المغرب وأتراك الجزائر ورغبة السلطان المغربي قفي الحد من سطوة هؤلاء الولاة في الجزائر[4].

وبخصوص الرحلة الثالثة والأخيرة فهي رحلة حجية باتجاه المشرق العربي، وتمت في عصر السلطان سليمان، وذلك عام 1206هـ 1791م[5]. وقد أتاحت له هذه الرحلة فرصة التعرف على العديد من الأقطار

[1] نيكولا زيادة، المرجع نفسه، ص 238.

[2] أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص59.

[3] أبو القاسم بن أحمد الزياني، الوجيز من الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمور برا و بحرا، تح: محمد المنصور،ط1، دار أدكل للطباعة و النشر، الرباط، 2016م،ص20.

[4] ، مصر القرن الثامن عشر من خلال الترجمانة الكبرى لأبي القاسم الزياني، الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية المصرية، مج1، جمع و تنسيق : علي أحمد فليفل، المندوبية السامية لقدماء المقاولين وأعضاء جيش التحرير، الرباط،2018م،ص451.

[5] محمد حواش، صورة المشرق من خلال الترجمانة الكبرى، مكونات الصورة وحدود التأويل، ضمن أعمال ندوتي المغرب، المشرق العلاقات و الصورة المنعقدة في مارس 1994م، جامعة القاضي عياض، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بني ملال، المغرب 1999م، ص248.

العربية التي مر عليها كتونس و الجزائر وبلاد الشام ومصر، إضافة إلى الاتصال بالكثير من الشخصيات المهمة كعبد الرحمن الجبرتي[1] واسماعيل العباسي وغيرهم من العلماء و الأدباء[2]

2. سير الرحلة:

لقد سلك أبو القاسم الزياني في هذه الرحلة الطريق البحري، حيث انطلق من مدينة تطوان حاملا معه الرسائل و الهدايا إلى السلطان عبد الحميد[3]، فعرج على ميناء مالقة وحلق الوادي بتونس وصولا إلى الأستانة التي دامت مدة مكوثه بها حوالي 100 يوما، وهذه الرحلة تخللتها زيارات عديدة، فعلاوة على أداء مهمته السياسية التي كلف بها، اطلع الزياني أيضا على منجزات الدولة العثمانية التي نالت إعجابه فاهتم بوصف المعالم التاريخية و الحضارية، كما وقف على مظاهر التقدم خاصة فيما يتعلق بالمؤسسات السياسية و الاقتصادية و الثقافية للدولية العثمانية، وهذه الرحلة قد خصص لها حيزا كبيرا في كتابه الترجمانة الكبرى[4].

يتضح مما سبق ذكره أن الزياني إضافة إلى كونه رجل دولة وسفير، فهو أيضا يعد من أهم الرحالة الذين زاروا العديد من الأقطار الغربية ومنها والاوروبية، وقد سجل الزياني وقائع هذه الرحلات مصنفه الموسوم بالترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، ويبدو أن الزياني قد اختار لهذا المصنف عنوان أشمل هو: **"الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا وما تخللها من الأمصار والمدن والقرى والقفار والبحر والجبال والأنهار والعيون والآبار وغير ذلك من عجائب خواص الحيوانات والأحجار وما يريد ذاك من تفسير الآثار ونوازل الفقه ولغة العرب وشواهد الأشعار"**[5].

---

[1] عبد الرحمن الجبرتي: مؤرخ و كاتب تراجم مصري، ولد بالقاهرة في اسرة اشتهرت بالعلم، تلقى تعليمه بالأزهر الشريف على يد نخبة من العلماء من أمثال مرتضى الزبيدي وغيرهم، وعاصر الحملة الفرنسية على مصر وتولى منصب الكاتب في الديوان، تولى في عهد محمد علي منصب شيخ المفتي الحنفي، ساهم في تطور الحركة الأدبية في مصر خلال القرن الثامن عشر، من مؤلفاته: عجائب الاثار في التراجم و الاخبار. للمزيد أنظر: آرثر جولدشميت، قاموس تراجم مصر الحديثة ، ترجمة عبد الوهاب بكر، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص180،179.

[2] ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص199.

[3] عبد الحميد الثاني: هو السلطان العثماني الرابع و الثلاثون، ولد سنة 1842م، اعتلى عرش الدولة العثمانيةعام 1876م، زار أوروبا مع عمه عبد العزيز وقد سمحت له هذه الرحلة بالاطلاع على مظاهر التقدم الاوروبي، شهدعهده تطورات كبرى سواءا على الصعيد الداخلي أو الخارجي، قام بعدة إصلاحات شملت مختلف المجالات أبرزها إعلان الدستور، اقترن اسمه أيضا بالجامعة الاسلامية، تم عزله من الحكم في سنة 1909م للمزيد أنظر: محمد حرب، السلطان العثماني آخر السلطانيين العثمانيين الكبار، ط1، دار القلم، بيروت،1990م،ص31 و ما بعدها.

[4] بروفنسال، المرجع السابق،ص109،107.

[5] مولاي بحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، د ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981، ص22.

يظهر من خلال العنوان الذي اتخذته الرحلة أن الزياني لم يقتصر على وصف رحلاته الثلاثة التي قام بها فحسب، بل ضمنها معارف متنوعة استقى بعضها من مشاهداته وملاحظاته الشخصية، كما استند في الكثير من الأحيان على كتابات الرحالة والمؤرخين الذين سبقوه، الأمر الذي جعل مصنفه يتسم بطابع الموسوعية، ولعل ما أكد عليه الزياني في حديثه عن أهمية مصنفه، الترجمانة، يقول الزياني عن ذلك:"**هذه الرحلة المسماة بالترجمانة الكبرى** التي جمعت أخبار المعمور برا وبحرا لم تقتصر على ما في الرشاطي من الأمصار، ولا على ما جمعه ابن عبد المنعم في الروض المعطار، وما جلبه ابن الجوزي من أخبار البحار و القفار، وما في خريدة العجائب من الجزر والعيون والآبار والانهار، وما في عجائب المقدور من نفائس الأخبار، وما كان بعدهم من الحوادث والأقدار، وأبرزت ما أغفلوه أو لم يكن لهم شعور أو إنذار ، وحليتها بحوادث ونوادر وحكايات جلبها المؤرخون الكبار كابن قتيبة والمسعودي والطبري و الذهبي....قيدنا من غرر كلامهم أوفر نصيب، ضمنتها ما في رحلة البكري من النكت والأشعار وما في رحلة البلوي من نفائس الأخبار....وما في رحلة العياشي ومحاضرة اليوسي.... وما يناسب ذلك من البراهين القاطعة من التفسير والحديث والفقه"[1]

إن المنهج الذي اعتمد عليه في تدوين رحلاته يقوم على أساس التجربة والمعرفة الشخصية فهو يصف الأماكن الجغرافية كما شاهدها، ولا يكتفي بذلك فحسب بل ينقل عن الكثير من المؤرخين والرحالة السابقين، وقد أعطى ذلك للرحلة التي جمع فيها بين الكتابة التاريخية من جهة و أدب الرحلة من جهة أخرى ميزة خاصة انفرد بها .

ج- أهميتها

احتلت الرحلة الزيانية مكانة هامة ضمن التراث الرحلي المغربي في القرن الثامن عشر، ذلك أن الترجمانة الكبرى هي نتاج الرحلات الثلاث التي قام بها الزياني، فمن خصوصياتها أنها تجمع بين الرحلة السفارية والرحلة الحجازية، وهو ما لم يتوفر في أي رحلة مغربية أخرى، وقد أفضى عليها ذلك طابع الشمولية والموسوعية[2]، إذ يقول عنها الزياني:".....**جمعت ما قيدته في رحلاتي الثلاث، وما شاهدته من الأمصار والبحار وما لقيت**

[1] أبو القاسم الزياني، الترجمانة...، المصدر السابق، ص587.

[2] العربي حمدي، المرجع السابق، ص 253.

من السادات جعلته رحلة واحدة على قاعدة النحاة في جواز الجمع بين الاخوات وسميتها الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمور برا و بحرا"[1].

يتضح من خلال ما أورده الزياني أن هذه الرحلة تحفل بالمعلومات و المعطيات المهمة، سواء تلك التي تتعلق بالدولة العثمانية وبعض البلدان العربية التابعة لها ، أو التي تخص المغرب وما شهده من أحداث تاريخية متنوعة، فرحلة الزياني قبل أن تكون مصدرا يؤرخ للبلدان التي زارها هي بمثابة سيرة ذاتية لصاحبها و مرآة عاكسة لأحداث عصره.

وإذا ما أردنا استجلاء أهمية هذه الرحلة فإنه يمكن القول أنها من الرحلات القيمة التي يمكن الاستفادة منها في عدة جوانب.

فمن المواضيع البارزة والتي يمكن استيقاءها من متن هذه الرحلة هي تلك الفصول التي خصصها لتاريخ المغرب، إذتناول أهم الاحداث التي شهدتها الدولة العلوية على وحه الخصوص، ولم يكتف الزياني بذلك فحسب بل أنه أشاد مطولا بسلاطين هذه الدولة ، فذكر محاسنهم ومآثرهم الجليلة خاصة السلطان محمد ابن عبد الله ومولاي سليمان، والجدير بالذكر أن المعطيات التي قدمها حول المغرب تعد من أهم ما دون عن تاريخ المغرب في تلك الحقبة[2].

تستمد رحلة الزياني أهميتها أيضا من كونها تعد أحد المصادر التي أمدتنا بمعلومات مهمة تخص الدولة العثمانية وأوضاعها في نهاية القرن الثامن عشر، فالدارس لمتن هذه الرحلة يلاحظ أنها تزخر بالمعطيات الحضارية، ففي الجانب السياسي حرص الزياني على وصف طبيعة نظام الحكم، إذ تحدث مطولا عن لقاءاته مع رجال السلطة ومنهم الوزير الاعظم يوسف باشا والمؤرخ خير الدين أفندي بالإضافة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الذي نلاحظ أنه أثنى عليه مطولا وبأعماله الجليلة ولا سيما منها رعايته لأهل الحرمين الشريفين، كما هتم كذلك بوصف المؤسسات الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية والتي استرعت انتباهه، فتحدث بشيء من التفصيل عن دار الصناعة وبيت المال ودار السكة بالإضافة إلى دار الهندسة ودار العدة التي تختص بصناعة آلات الحرب ودار

[1] أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى..،المصدر السابق، ص52،53.

[2] الزياني،نفس المصدر السابق،، ص99.

الكاغيد التي يصنع فيها الورق ودار البارود ودار الكتب التي بها الخزانة السلطانية وغيرها من المرافق الأخرى التي تعكس وجهة نظر قوة وعظمة الدولة العثمانية[1]

ومن الجوانب السياسية الهامة التي استرعت انتباه الزياني ونقلها لنا في رحلته نجد المؤسسة العسكرية والديوان، فالزياني ركز على وصف مختلف التشكيلات العسكرية الموجودة بالدولة العثمانية، فتحدث باسهاب عن الانكشارية والصباحية والطبجية والعربجية وغيرهم، كما أنه لم يغفل أيضا الحديث عن مرتباتهم وأعدادهم، والزياني في معرض حديثه عن القوة العسكرية أشار كذلك إلى كيفية توزيع الرواتب، حيث أبدى إعجابه بهذه المراسيم التي تدل في نظره على قوة و ضخامة الدولة العثماني

د- مكونات الرحلة

الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا هو كتاب في أدب الرحلات ألفها المؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني نقل و وصف فيه مشاهداته الوقائع رحلات ثلاث قام بها ما بين سنة 1755مو 1792م إلى كل من الحجاز و مصر و القسطنطينية.

وهي سيرة تاريخية ذاتية ، وسجل خاص لمواقف الكاتب مشاهداته وملاحظاته وخبراته وتجاربه في الحياة. اتصفت الترجمانة بالشمولية أو الكتابة الموسوعية المتحررة، حيث تجاوزت موضوعاتها وتطرقت لحقول معرفية متعددة مثيرة للالتباس في الواقع ، فاحتوت المعارف التاريخية والاجتماعية والسياسية والجغرافية والفقهية واللغوية والأدبية.

[1] نفسه، ص99.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية

و الاقتصادية

المطلب الأول:الوضع السياسي

و لعسكري

المطلب الثاني :الوضع الاقتصادي

المطلب الأول : الوضع السياسي

1- قصر السلطان

2- الديوان

-أعضاء الديوان:

أ-السلطان

ب-الصدر الأعظم

ت-القضاة

ث-الخزندار باشي

ج-النشانجي

الوضع العسكري:

1- السفن والمراسي

2-المدافع والحصون

المطلب الثاني: الوضع الإقتصادي

1-الصناعة

2-الزراعة

3-الأسواق

4-حيواناتها

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية والاقتصادية

المطلب الأول : الوضع السياسي

امتاز الدولة نظام حكم العثمانية بأنه طابع سياسي عسكري فقد أنشأت على أنقاض الدولة البيزطية هذا ما جعلها الدخول في دائرة التوسع باعتباره أحسن وسائل الدفاع، وقد حافظت على نظامها العسكري إلى النهاية، ذلك بكونها ركيزة نظام الحكم العثماني

خلال القرن الثامن عشر وخاصة رحلة الزياني كان جل اهتمامات السفراء الجانب السياسي فقد أعجب بنظام حكم والركائز الرئيسية التي يتشكل منها الديوان بالإضافة إلى مختلف المؤسسات الإدارية.

1) قصر السلطان (السراية)[1]:

وصف الزياني شكل القصر الذي عند رؤيته له وقال عنه: ''فتوجهنا ودخلنا قلعة السلطان وبلغنا باب الحجاب فقاموا لنا، وسرنا لباب السعادة التي بها حريم السلطان، ونزلنا وجلس أصحابنا هناك، وتقدم بنا الحاجب، وصعد بنا مع درج متسعة من الرخام نحو العشرة....''[2]، وأضاف لنا التمغروطي صورة عن القصر السلطني حيث قال عنه :''وهذه المدينة مثلثة الوضع ثلثاها دار بها البحر داخلة فيه ،وفي الداخل في البحر قصر السلطان يسمونه بلغتهم السراية .قصر واسع جدا ،فيه مساكنه ومساكن غلمانه وليس فيه غيرهم ورياضة ومتنزهاته وإيوائه وفيه خرجات يخرج منها إلى البحر''.

كما أضاف بوصفه ''...ومنزل السلطان في محلته قباب وأورقة وسرادقات ،بديعة النظر عجيبة الشكل، قد قامت أخبية مضروبة كأنها التيجان المنصوبة. وله قصر من عود بمسامير وحلق .....وفي داخله القباب الملونة

حمرة وسوادا وخضرة وبياضا كأنها أزهار الأرض.والقصر الذي لمعانه يخطف الأبصار ..'' [3]أضاف على ذلك الزياني في وصفه لقصر السلطان وقال :''فتوجهنا ودخلنا قلعة السلطان وبلغنا الباب الحجاب

[1] السراي : إن كلمة سراي فارسية الأصل تعني المنزل أو القصر .وتعني في الإستعمال العثماني مجموعة المباني المشيدة في القصر الإمبراطوري من بلاط ومنازل لأعضاء الأسرة المالكة وموضفي شؤون القصر ....للمزيد أنظر ي كتاب لويس برنارد ، اسنطبول وحضارة الخلافة الإسلامية ص 95

[2] الزياني، نفس المصدر السابق ، ص 123.

[3] التمغروطي ،النفحة المسكية في السفارة المسكية تح: عبد اللطيف الشاذلي ،د ط ،المطبعة الملكية،الرباط، المغرب،1991، ص 117

فقاموا لنا، وسرنا لباب السعادة التي بها حريم السلطان، ونزلنا وجلس أصحابنا هناك، وتقدم بنا الحاجب ، وصعد بنا مع درج متسعة من الرخام نحو العشرة.[1]"

أما بالنسبة لداخل القصر فقال عنه الزياني:"ودخل بنا على باب صغير قريب قبته،فوجدنا القبة التي يجلس بها السلطان وسريره بها، فقال للترجمان قل له هذا محل ملاقاتك معه، وخرجنا من بابها لوسط دار السعادة[2]، فوجدنا بها أربعة قبب كالتي دخلنا منها، والقبب في الأركان، وأربعة مقاعد، مقعد في كل ربع قائم على عشر سواري من رخام، كل واحد يقابل الآخر، وفي وسط الدار قبة السعادة قائمة على أربعين سارية....[3]

وظائف خدام السراي: (داخل القصر)لقد أخبرنا الزياني عن كزلا زاغاسي[4] وهو قائد عبيد الدار، قائما على قدميه برأس الدرج، وخلفه جماعة من عبيد الدار .[5]

- **فتعرف** دار السعادةأنه يضم سرايطوب قابي رجلين من أوسع رجاله صلاحية وأكثرهم نفوذا،هما:أغا باب السعادة بينما كان الثاني من الأغوات السود هو رأس العاملين عند داخل القصر الهمايوني. [6]

لما دخل علينا خدامه القائمون بأشغاله ،كانوا وقوفا عن اليمين والشمال وهم أربعون الذين يباشرون أموره أكبرهم السلجدار وهو صاحب السيف والمهدار وهو صاحب الطابع وصاحب والخزندار وهو صاحب المال ،والجوخدار وهو صاحب لباسه ، والقهوجي وهو صاحب النعال ، المرآة وصاحب السفرة وهو صاحب الماء وصاحب الطشت والإبريق ..."[7]، **أما خارج القصر** فهنالك وظائف أخرى هي: سلاحدار[8] الذي كان

---

[1] الزياني ، نفس المصدر السابق ص 123.

[2] دار السعادة: اسم أطلق على دار الحكم، وقصد به إستانبول، فعرفت بدار السعادة، لأنها كانت قصرا للحكم العثماني.وقد سميت يه بعض قصور السلاطين أيضا. كما أطلق كذلك على جناح الحريم في القصر طوب قابي باستانبول ..للمزيد أنظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000، ص 108.

[3] الزياني، نفس المصدر السابق ص 124.

[4] كزلا زاغاسي:رأس الخصيان السود في البلاد الذي كان يعرف أيضا حريم أغاسي..للمزيد في كتاب خليل اينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار ، تر محمد الارناؤوط، ط 1،دار المدار الإسلامي،ليبيا، 2002،ص 338.

[5] الزياني ، نفس المصدر السابق ص 123

6احسان أوغلو ،نفس المرجع السابق ،ص162

7الزياني ، نفس المصدر السابق ص 126

[8] سلاحدار آغا: مديرموظفي الغرفة الخاصة، كان يحمل سيف السلطان على كتفه في المراسيم الخاصة، ويمشي ورائه للنزيد أنظر في سهيل صابان، المرجع السابق، ص 134.

يرافق السلطان بسيفه ،ركابدار الذي كان يعتني بركاب السلطان ،وسر كاتب أو أمين السر للسلطان، فقد كان يخدم فيها ستون من الغلمان بالإضافة إلى ذلك فقد كانت تضم كل التشكيلات التي تنضم علاقات السلطان بالعالم الخارجي.[1]

آداب الدخول على السلطان :أخبرنا الزياني أنه لما دخل السلطان علينا خدامه القائمون بأشغاله، كانوا وقوفا عن اليمين والشمال وهم أربعون خادما [2].

[1] خليل اينالجيك، نفس المرجع السابق، ص 128.

[2] الزياني ، نفس المصدر السابق، ص 124.

ولقد أضاف التمغروطي ''يجلسون هنالك على الوزير في قضاء مآربهم، حتى الغداء فيتغدون ثم يؤذن للوزير الأعظم والوزير الثاني والثالث فيدخلون على السلطان بعد دخول القاضيين: قاضي الروملي وهو اسم للعدوة التي فيها اسطنبول المتصلة بين النصارى إلى الأندلس،وقاضي ناضولية وهو اسم للعدوة الشرقية المتصلة إلى الشام[1] وهو بر العرب.وقاضي الروملي أرفع وأثبت من قاضي ناضولي .أول من يحل على السلطان هذان القاضيان ثم رئيس الكتاب ثم رئيس بيت المال . لا يدخل غير هؤلاء ولا يرى السلطان غيرهم.[2]

2) الديوان:

ولقد عرفه تسيير جبارة وقال بأنه مثابة مجلس رئاسة الوزراء ،وقد تشكل الديوان في العهد العثماني بعد أن امتدت الدولة العثمانية وتوسعت، لذلك كان لا بد للسلطان من تعيين وزراء لإدارة شؤون مختلفة للإعتماد عليهم في تصريف أمور الدولة .[3]

ولقد حدثنا الزياني عن يوم الديوان حيث قال ''....ورجعنا لمحلنا فأقمنا شهرا لأننا وجدنا الديوان فات،ولا تكون الملاقات مع السلطان إلا يوم الديوان،أو يوم عيد الفطر،أو يوم عيد الأضحى ،أو عيد المولد ،والديوان يكون على رأس كل ثلاثة أشهر ...''[4]ضف إلى ذلك تحدث برنارد لويس حول الديوان وقال أنه مكان استقبال السفراء الأجانب وهو مكتب انعقاد اجتماعات المجلس السلطاني [5]

ثم أضاف الزياني أن عند ملاقاته بالسطان بالديوان :''ثم جاءنا أهل القبة فأكبوا على تقبيل أيدينا وطلب الدعاء منا، وقالوا هذا الذي قبل يد السلطان عبد الحميد، وقبل ركبته وجلس أمامه، شيء لم يقع عندهم لأحد فساعدناهم بالدعاء، وخرجنا على طريقنا التي أتينا منها، فركبت وتوجه معي الترجمان السلطاني والحاجب إلى بيت الوزير ، فوجدناه بانتظارنا هو وأهل الديوان، فقاموا السلام علينا وجلسنا وبعثوا لصاحب القوانين والدفاتر، فحضر في أصحابه وتكلموا في أمر الملاقات ووصفها لهم الترجمان فكتبوها في الدفتر...''[6]

---

[1] شام: اسم يطلق على سورية عموما وعلى مدينة خاصة للمزيد أنظر س.ستراس، المرجع السابق،ص 319.

[2] التمغروطي ،نفس المصدر السابق ص 122.

[3] جبارة، تاريخ الدولة العثمانية ،ب د،فلسطين،2015،ص 68

4 الزياني، نفس المصدر السابق ص 119

برنارد ، اسطنبول وحل.. برنارد لويس، استنبول و حضارة الخلافة الإسلامية،تع: سيد رضوان علي ،ط2،دار السعودية، الرياض، 1982. ص 103[5]

[6] الزياني، نفس المصدر السابق ،ص 126..

أعضاء الديوان:

أ. **السلطان**[1]:أخبرنا الزياني عن السلطان العثماني عبد الحميد الذي مدحه بأعماله القيمة خاصةرعايته لأهل الحرمين الشريفين[2]، أن من وظائفه ينظر إليهم ،فيخرج مال العسكر حيث قال :"....السلطان ينظر إليهم ،فيخرج مال العسكر الأول ،وهم دورد بلوك وهو العسكر القديم الذي يتيامنون به ويقدمونه فيالحروب ...."[3]

والسلطان هو رأس نظام الحكم كله ومركزه وقوته الدافعة ،وهو أداة توحيده وتسييره ،وهو صاحب التصرف المطلق في الأموال والأنفس ،وهو الذي يصدر الأوامر ويمنح الرتب .لا توجد سلطة أو قانون يحد من سلطته ولا رقيب عليه إلا الشريعة الإسلامية فأوامره في الأهمية بعد كتاب الله وسنة رسوله ،ومجموعة توقيعاته ومراسيمه هي قوانين الدولة بعد القانون الإسلامي .وكان السلطان يعين في إدارة الدولة الوزراء رئيسهم الصدر الأعظم ،ويليهم رجال الدين والقضاة وكبار الدولة .[4]

لقد حمل السلاطين العثمانيون ألقابا مختلفة استاجبت للحاجيات التي يفرضها الظرف التاريخي، كما تحكمت فيها الكثير من الأحيان العلاقات التي نسجها العثمانيون مع جوارهم. وهذه الألقاب التي حملها السلاطين العثمانيون هي لقب الخليفة [5]

ب. **الصدر الأعظم** [6] :وهنا يخبرنا الزياني أن الوزير هو الذي يقوم باستقبال السفراء الأجانب ومهمته نقل رسالتهم إلى السلطان ،

[1] السلطان: لقب من الألقاب التي استخدمها الحطام في الدولة العثمانية ابتاداء من عهد السلطان يلدريم بايزيد ..للمزيد انظر في المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان، ص 135.

[2] الزياني، نفس المصدر السابق، ص110..

[3] الزياني نفس المصدر السابق ص 120

[4] عبد السلام عبد العزيز فهمي ،السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ط5،دار القلم دمشق ،سوريا ،1993، ص 27

[5] عبد الرحيم بنحادة،العثمانيون المؤسسات والإقتصاد والثقافة،ط1،دار البيضاء النجاح الجديدة،2008، ص80.

[6] الصدر الأعظم كان هذا المنصب ،الوزير الأعظم أو الصدر الأعظم بمثابة رئيس الوزراء في وقتنا الحالي. وقد بدأ السلاطين العثمانيين بتعيين وزراء لهم بعد أن توسعت الدولة العثمانية نتيجة الفتوحات في الأناضول في آسيا الصغرى ،والبلقان في أوروبا .ومثال ذلك عندما عين السلطان أورخان الوزير علاء الدين كوزير أول ثم أصبح رئيسا للوزراء فيما بعد للمزيد أنظر في : جباره ، نفس المرجع السابق ص 79

حيث يقول :''..وانصرف يخبر الوزير بنزولنا ،وأقمنا سبعة أيام استرحنا فيها فيهامن شواغب البحر ،وبعث لنا الوزير الخيل للملاقاة معه ....فإذا كان يوم الديوان يطلع الوزير وأعيان الدولة وأمراءالعساكر لقلعة السلطان في برج متسع ،ويجلس الوزير وأهل الدولة في الميدان ...''[1]كما أضاف على هذا فقد تحدث عن زياراته للوزير الأعظم يوسف باشا، والمؤرخ خير الدين أفندي.[2]

كما أكد هذا القول المكناسي في كتابه المحراز ''....وأقمنا خمسة أيام بعد يوم نزولنا واستدعانا الوزير إلى ملاقاته ،لأن من عاداتهم أن السفير إذا قدم عليهم أول ما يتلقى بعد الإستراحة مع الوزير .....ولما دخلنا على الوزير أعطيناه المكاتب التي أصبحنا سيدنا ومولانا أمير المؤمنين إلى السلطان ،وتلك هي العادة عندهم لأن المكاتب تدفع أولا إلى الوزير قبل ملاقاة السلطان ،حتى ينقلوهم من العربية إلى لغتهم ويفهمون المراد وما أعلمت إليه الرحلة ..''[3]

كما ذكر اينالجيك في كتابه أن يمكن للوزراء أن يتخذوا القرارات وحتى إصدار الأحكام بالإعدام .ففي الديوان السلطاني كان هؤلاء يمارسون السلطة بموافقة أو بقرار من الصدر الأعظم .وكان السلطان قد منح الصدر الأعظم في أن يتصرف كنائب مطلق للسلطان ويمارس بالتالي سلطته السياسية والتنفيذية .

ويصف قانون نامه الذي أصدره محمد الفاتح الصدر كما يلي :''أعلم أن الوزير الأعظم هو رئيس الوزراء والأمراء ،وأجلهم قدرا وأرفعهم مقاما ،هو النائب المطلق للسلطان ،الذي يتصدر الجلوس والقيام ،ويتقدم على الجميع''[4]

أما إذا أتينا إلى معرفة مهامه وهي كما يلي:

- ✓ رئاسة الديوان منذ أن تخلى السلطان العثماني محمد الفاتح عن هذه المهمة، في ظروف يروي تفاصيلها المؤرخ العثماني طاش كوبره زاده، فقد دخل بدوي إلى القصر السلطاني ليقدم شكوى للديوان العثماني المجتمع برئاسة السلطان..

[1] الزياني،نفس المصدر السابق ص 119

[2] الزياني، نفس المصدر السابق ص 99.

[3]المكناسي ،رحلة المكناسي (احراز المعلى والرقيب)تح:محمد بوكبوط ،ط1،دار السويدي أبو ظبي ،الإمارات العربية المتحدة ،2003،ص62-63

4خليل اينالجيك ،نفس المرجع السابق ،ص151

- ✓ قيادة الحملات العسكرية سواء في الزمن الذي كان يتولى فيه السلاطين هذه المهمة أو بعد ما تخلوا عنها وأصبحت حكرا على الصدر الأعظم منذ نهاية القرن السادس عشر. والملاحظ أنه خلال الحملات التي كان يقودها الصدر الأعظم أن الإدارة العثمانية تتحرك كلها ...
- ✓ المسؤولية عن الأمن العام في عاصمة الدولة، حيث كان يعقد كل أسبوع جلسة مخصصة لشؤون العاصمة، وكان يقوم بين الفينة والأخرى بزيارة الأسواق في العاصمة...

ت. مسؤولية التعيين، فلما كانت المناصب محددة بمدة معينة فقد كان الصدر الأعظم يقترح للتعيين بين الفينة والأخرى من يراهم أهلا لتولي هذه المناصب ...[1]

ث. **القضاة:** كانت رتبة القاضي تأتي في المرتبة الثانية بعد شيخ الإسلام .وفي بداية قيام الدولة العثمانية[2] عين السلاطين العثمانيين القضاة في المناطق المفتوحة وذلك لتطبيق الشريعة الإسلامية .

فكان يسير مع الجيش في الفتوحات[3]قاضي عسكر الروملي[4] أغنى قاضي فضاة بلاد الروم كلها،له من بيت المال في كل شهر قروش ألفان.

ثم **قاضي عسكر الأناضول**:و هو قاضي قضاة بلاد العرب كلها يتقاضى في كل شهر ألف وخمسمائة قرش 5 هو المسؤول عن تعيين قضاة في الولايات الآسيوية وهؤلاء كانوا يسيرون على المذهب الحنفي .وكان يتم تعيين القاضي لمدة سنة واحدة ،قابلة للتجديد والقاضي هو صاحب السلطة القضاية العليا في منطقته،[6]

1 عبد الرحيم بنحادة، نفس المرجع السابق، ص 101.

[2]الدولة العثمانية: 680هـ-1342هـ/ 1281-1924:قامت في الأناضول على أنقاض دولة سلاجقة الروم ثم استولت على البلقان والبلاد العربية في آسيا والمغرب العربي باستثناء المغرب الأقصى .حل المستعمرون الأوروبيون محل العثمانيين في البلاد العربية، وتفككت الدولة العثمانية نهائيا بعد الحرب العالمية الأولى، وأعلن مصطفى كمال آتاتورك الجمهورية التركية عام 1923م، وألغى الخلافة الإسلامية عام 1924م.يحي محمد نبهان، نفس المرجع السابق ص 152.

[3]جباره ،نفس المرجع السابق ص 80

[4] قاضي عسكر الروملي: كانت مؤسسة القضاء العسكري أكبر مرجع ديني في الدولة العثمانية حتى نهاية عهد السلطان محمد الفاتح، ثم انقسمت في عام 1481م إلى قسمين: قضاء عسكر الروملي وقضاء عسكر الأناضول فإذا رقي قاضي استانبول أصبح قاضي عسكر الأناضول . وإذا رقي هذا الأخير أصبح قاضي عسكر الروملي، ثم شيخ الإسلام ..للمزيد أنظر سهيل صابان، نفس المرجع السابق ص 174.

[5]الزياني نفس المصدر السابق ص 111

[6]جبارة ،نفس المرجع السابق ص 80

قاضي مدينة الأصطنبول له في كل شهر خمسمائة قروش،قاضي الحرمين [1]: مكة و المدينة له في كل شهر خمسمائة قرش،قاضي إحدى المدن الأربعة و هي أردنة[2]،بورصة،دمشق[3]،ومصر[4] له في كل شهر

أربعمائة قرش. قاضي إحدى المدن الثمانية :الإسكدار، سلطان أيوب، والقدس الشريف، وحلب الشهباء ،ويكي شهر[5]، وسلانيك[6] العظمى والفلطة[7] وأزمير[8] ،هذه مراتب القضاة.[9]

القضاة هم ساهرون على تطبيق المذهب الحنفي وكانت بعض المدارس تختص بتزويد الدولة العثمانية بالقضاة دون غيرها كمدارس القاهرة و أدرنة وبورصة واستانبول ،وبمجرد تخرج الطالب من المدرسة يتحصل على وظيفة في منطقة الروملي.[10]

ج. **الخزندار باشي** :وضعت الدولة العثمانية نظام مالي خاص بها، ساهم هذا الأخير في تطورها يتولى الخزنة الداخلية للباب العالي ،التي لها مفتاحان، أحدهما بحوزة السلطان هو، ويتم أيضا تعهدها والمحافظة

[1] منصب الحرمين: منصب قضاء مكة المكرمة والمدينة المنورة .وكان هذا المنصب أرفع درجة من منصب مولوية البلاد الخمسة، أقل درجة من منصب قضاء غلطة ..للمزيد أنظر سهيل صابان، نفس المرجع السابق ص 216.

[2]أدرنة: هي مدينة تركية، مركز ولاية ولواء أدرنة، تقع عند ملتقى نهر مريج وطونجة وارده، عدد سكانها حوالي 150000،نسمة ،فيها أثار جميلة 2مقر أسقفية يونانية، تتبع بطركية القسطنطينة، أسس أدرنة أدريان، فوق مدينة اوسكوداما القديمة ...للمزيد أنظر في س.ستراس .

دمشق:مدينة في سورية ، مركز لواء وولاية دمشق. تقع في واد واسع تسقيه مياه بردى. سكانها حوالي15000 نسمة كانت دمشق قديما أغنى وأهم مدن سورية بعد أنطاكية يرفع يوسيفوس تاريخ إنشائها إلى عهد واحد من أبناء سام بن نوح ورد ذكرها في الإنجيل في عهد سيدنا

[3]ابراهيم..للمزيد أنظر في س .موستراس ، نفس المرجع السابق ص 267.

[4]مصر:بلاد مصر في أول الإقليم الرابع ، لها من البروج الجوزاء ،ومن النجوم عطارد،وهي من أسوان إلى الاسكندرية ، وخصها وزرعها وفواكهها كثيرا جدا يسعى جميعا بالنيل ....للمزيد في كتاب سعد الله زغلول عبد الحميد، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، د ط، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق بغداد ،ص 45

[5] يكي شهركولي: بحيرة في تركية الأروبية، في ولاية ولواء سلونيك، في شبه جزيرة كساندره..للمزيد أنظر في س.ستراس،نفس المرجع السابق ص 501.

[6]سالونيك:مدينة في تركية الأوروبية، في مقدونية، هي مركز الولاية واللواء الذين يحملان الاسم نفسه،في عمق خليج سالونيك سكانها حوالي 8000 نسمة.مركز تجاري مزدهر.مقر أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينة، خيم فيها أحشورش .استولى الأثينيون على المدينة في بداية حرب البيلويونير..لمزيد أنظر في س.ستراس، نفس المرجع السابق، ص 301.

[7]الغلطة: بلدةي تركية الأروبية، في ولاية سلسترة لواء على البحر الأسود للمزيد أنظر في س.ستراس،نفس المرجع السابق،ص 372

[8]أزمير: مدينة تركية آسيوية الأناضول على خليج في الأرخبيل مركز ولاية آيدين ولواء صوغلة تعد 150000 نسمة تقريبا، مقر أصقفية تتبع بطركية القسطنطينية ينسب إنشاؤها إلى امرأة أمازونية اسمها سميرن أما هيرودوتس، فيقول أن المدينة جذور ايولية.حوالي سنة688 قبل المسيح دخلت أزمير في الاتحاد الأيوني فتحها السلطان مراد الثاني سنة 1424م للمزيد أنظر في س.ستراس ،نفس الرجع السابق ص54

[9]الزياني ، نفس المصدر السابق، ص111 .

[10] عبد الرحيم بنحادة،نفس المرجع السابق ، ص 157

عليها بالختم السلطاني الذي يكون موضوعا دائما فوق بابها، ولا يفض أبدا إلا حين تفتح الخزينة بأمر السلطان .

لقد ذكر الزياني الدفتار [1]أن أحد تشكلات الديوان عند بلوغه عند السلطان كان موجودا في مكانه [2]،

وتوجد في هذه الخزنة كل الكنوز التي كدسها السلاطين، ولا يدخل إليها شئ آخر من موارد الإمبراطورية سوى ستمائة ألف سلطاني يتم جبايتها كل سنة من مصر، وأما الأموال الأخرى فتذهب إلى الخزنة الخارجية،التي تقتطع منها كل النفقات المعتادة والاستثنائية،ولا يؤخذ من الخزنة الداخلية أي شئ إلا عند الضرورة القصوى،ويتم تدوين ذلك والإلتزام أمام الدفتردار الكبير بوجوب إعادة كل ما أخذ.[3] ، ومن وظائفه إعداد الميزانية السنوية، وتقديم ملخصاتها وملخصات قوائم العلوقات إلى السلطان .ودفتر دار الأناضول الذي عرف بعد القرن السابع عشر باسم ''دفتردار الشق الثاني''قد فقد قيمته بعد القرن السادس عشر، ولم يعد يؤدي وظيفته بالمعنى الحقيقي في الديوان الهمايوني إلا عندما يخرج ''الدفتر دار الأول''مع الجيوش إلى الحرب، فينوب عنه في اسطنبول تحت اسم ''دفتر دار الاستانة (استانة دفتر داري)، أما دفتر دار الشق الثاني الذي تغير اسمه إلى الشق الثالث بعد القرن السابع عشر فكان بمثابة المساعد له [4]

ح. **النشانجي**[5]: تكلم عن الزياني أنه يحضر في الديوان وقال عنه بعثوا لصاحب القوانين [6]هو الذي يذكر عند العثمانيين أحيانا باسم الطغراني أو التوقيعي،وكان آخر الأركان الأصلية الأربعة في الديوان الهمايوني .ومع صعوبة الجزم بالتاريخ الذي بدأ فيه النشانجي يحتل مكانه ضمن التشكيلات المركزية العثمانية فإن وجود النشانجي منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر.ولا شك أن وجود هذه الوظيفة لدى الدول الاسلامية

[1] الدفتر دار:يتولى الأمور المتعلقة بالأمور بالمالية ويرأس عددا أكبر من المحاسبين وأمناء الخزينة والجباه والمحصلين لمتابعة واردات الدولة ونفقاتها ويشبه في أيامنا هذه وزير المالية.للمزيد أنظر في يحي محمد نبهان، نفس المرجع السابق ص 139.

[2] الزياني ، نفسه ص 126.

[3] أتفيانو بون ،سراي السلطان ،تر:زيد عبد الرواضية ،ط1،هيئة أبو ظبي للسياحة ،أبو ظبي ،2014،ص133

[4] احسان أوغلو ،نفس المرجع السابق ص 622

[5] النشانجي: هو الذي يوقع، وعند العثمانيين ما يماثلها كالطغراني، والوقيعي، وهو الذي يضع ختم الحاكم على ما يصدر عنه من فرامين وبراءات ومنشورات، والنشانجية من بين أصحاب الأقلام من العلماء، ويكون علما بأحكام الشرع والقوانين وقادرا على التأليف بينها، وربما جمع الوزير بين الوزارة وعمل النشانجي..للمزيد أنظر محمد أحمد وهبان،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1،دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية،1990،ص 151.

[6] الزياني ، نفس المصدر السابق، ص 16.

السابقة على دولة العثمانيين، ولا سيما عند العباسيين تحت اسم التوقيعي، وعند السلاجقة العظام وسلاجقة الأناول تحت اسم صاحب الطغراء أو الطغرائي، أنما يدلنا على مدى قدم ذلك الجهاز.

وأول معلومات صريحة عن النشانجي نراها في قانون نامةللفاتح[1]..ومن صلاحياته ومسؤولياته تدلنا مجموعات القوانين(قانون نامة)العثمانية على أهم الأعمال التي يتولاها النشانجي هي كتابة الطغراء على الفرمانات والبراءات وغيرها من الوثائق الصادرة باسم السلطان من الديوان الهمايوني. وتشير تلك المجموعات إلى أن اسمي (توقيعي ونيشانجي)جاءا من هنا. وواقع الأمر أن هذه المهمة عمل روتيني في النهاية، إذ يمكن لأحد كتبة الديوان من ذوي الخط الحسن أن يكتب الطغراء على الوثائق التي تستلزم كتابتها. في حين أن قيام النشانجي بكتابة الطغراء على مئات الفرمانات والبراءات الصادرة عن الديوان كل يوم لم يكن بالأمر الهين.فالصلاحية الأساسية للنشانجي هي أن يساعد في حل المشكلات المتعلقة بالقوانين العرفية باعتباره مفتي القانون، والأهم من كل ذلك هو سعيه لضمان دوران دولاب العمل بشكل متناغم باعتباره رأس البيروقراطية في مركز الدولة .[2]

[1]الفاتح:هو السلطان محمد الثاني 1481م /1313هـ يعتبر السلطان العثماني السابع سلسلة ال عثمان يلقب بالفاتح وأبي الخيرات. حكم ما يقرب من ثلاثين عاما كانت خيرا وعزة المسلمين تولى الدولة العثمانية بعد وفاة والده في 16 محرم عام 800هـ الموافق 18 فبراير عام 1451م، وكان عمره آنذاك 22 سنة ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم...للمزيد أنظر: علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1،دار التوزيع والنشر، الأندلس،2001،ص87.

[2]احسان أوغلو ،نفس المرجع السابق ص 190.

الوضع العسكري

اعتبر النظام العسكري العمود الفقري للدولة العثمانية لذلك أطلق عليها بأنها دولة عسكرية فقد اهتمت بهذا الجانب نظرا لوضعها جيش انكشاري قوي فكانت مهمته الأولى الدفاع عن ثوراتها وحماية السلطان والدولة، تعود هذه الفكرة إلى أورخان فهو صاحب فكرة إنشاء جيش عثماني عرف ب:''يايا'' وإحداث نظام خيالة يعرف ب ''مسلم'' لإضافة إلى أسطولها الذي ساهم في التغلب على أعدائها الذين أعماهم الطمع في ممتلكاتها، وكان هذا الأسطول صورة طبق الأصل عن الأسطول الإيطالي وذلك نتيجة رعايا القراصنة تتلمذوا على أيادي البنادقة. أما مهامه لا تتعدى سوى الدفاع عن البوسفور والدردنيل .

ولقد وصف الزياني التشكيلات العسكرية مثلا الانكشارية[1]، والصبايحية، الطبجية، العربجية كما أضاف على ذلك تفريق رتبها العسكرية حيث قال:'' يأتي مع المال التلخصيصي وهو الذي يتوجه بين الوزير والسلطان التي فيها عدد المال، فيقبلها ويجعلها على رأسه وينزل المال في خناشيه بواسطة الراح قبالة أربابه ويرجع للسلطان فيأتي بمال العسكر الثاني، وهم الاصبايحية، كلهم خيلا مائة ألف وعشرة آلاف، فإذا قابل الوزير ...،وعندهم من القواعد المقررة والقوانين المسطرة ،أن يصنع طعاما يحضره يوم تفريق الراتب على العسكر ، ويحضره قبالة المكان الذي يفرق فيه المال، والسلطان حينئذ من الرجا والخوف، لا يستقر فؤاده في جوف، لأن من عادتهم إذا حضر الراتب ليفرق على العسكر وذي المناصب والمراتب، وأحضر الطعام كما سبق به الإلمام، فإن بادر العسكر ....[2]، كما تحدث الزياني عن الانكشارية بقوله: ''كلهم عزاب لا يتزوجون ومن مات منهم يخلفونه من عسكر الانكشارية والاقشارية ومن مات منهم يخلف مطلق الناس.''[3]

ولقد أشار الزياني من خلال رحلته أن الهزائم التي تعرضت لها الدولة العثمانية ذلك من خلال الحرب التي قامت بينها وبين روسيا حيث قال :''ورد الخبر على السلطان عبد الحميد بالحرب لستة أشهر اما يعطيهم اسماعيل، وإلا الحرب، فلما سمع ذلك السلطان عبد الحميد، تغير لذلك وعظم عليه أمرها ..''[4]

---

[1] الانكشارية: كلمة تركية تعني العسكر الجديد،وهو جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان العثماني، اعتمد فيه على أبناء النصارى من البلقان بعد تنشئتهم على الإسلام، أباده السسلطان محمود الثاني في الموقعة الخيرية سنة 1826م حين فسدت أخلاق الجيش وتمرد أفراده على الحكومة..للمزيد أنظر: محمد أحمد وهمان، نفس المرجع السابق، ص 25

[2] المكناسي ،نفس المصدر السابق ص 99.

[3] الزياني ، نفس المصدر السابق ص 120.

[4] الزياني ،نفس المصدر السابق ص 121

ولقد أضاف الزياني على ذلك عند خروجه من الحرب باتجاه اير الرومي حيث قال:'' ترك سليمان شاه[1] تلك البلاد من جملة من تركها من الملوك لطهور التتر عليهم وقصد سلطان الروم علاء الدين السلجوقي لعظم دولته، وكثرة عساكره واعتنائه بغزو الكفار، ومع سليمان شاه من أخاونه أربعمائة جركاه، أعني خيمة....[2]

1-السفن والمراسي :عندما عزم الزياني على الدخول إلى مراسي تركيا وكان رفقة باشدور تركي حدث معه الآتي:''ولما دخلنا جزر البر الترك استانس هذا الباشدور، وسرح لسانه بالشتم في دولة المغرب وأهله، وهو يسمعني ذلك إلى فواعظته المرة بعد المرة، ونهيته فلم يرجع عن فعله، واستمر على ذلك إلى أن ألجأنا البحر وأهوائه إلى مرسى الشيشمة، وأشرفنا على المهالك أيسنا من الحياة، والمركب مشرف على التلف بكلنا، وهو يسب أمير المؤمنين ويدعو عليه، فقمت إليه وأخذت بلحيته .....وخلصنا من تلك الورطة، ودخلنا المرسى، وأرسينا بها، ونزل المركب للمدينة، واجتمع بحاكمها وطلب منه أن ينزل بها، ويتوجه في البر للاسطنبول...'' [3]،أما عن المراكب لم يفصل فيها وقال عنها أن الطرسانة التي تنشأ بها المراكب القرصانية. [4]وأضاف

على ذلك و قال: ''ولما رأى قائد المرسى سنجق[5] الباشدور، جاتنا الفلوكة تسأل من أين الباشدور، فقلت من سلطان الغرب، فتوجه الخبر إلى الوزير الأعظم، وقد قدم علينا أصحاب الطلبة ابن عثمان والوزير ومولاي عبد الملك وابن يحي، وجدناهم لا زالوا بالاسطنبول، وجدوا الركب الاسطنبولي ...[6]كما أضاف التمغروطي فقال أن ''بهذه المدينة يصنع السفن والمراكب على الدوام في بيوت كثيرة مصففة على طرف البحر من جهة الغلطة، كل بيت يسع مركبا على قدره ،وراء بيت آخر يجمع فيه ما يحتاج إليه المركب من حباله وقلاعه وآلاته كلها .فإذا تم المركب وكمل دفع في الماء وهنالك يجتمع الصناع كلهم والكتاب أعني كتاب البحر

[1] سليمان: ولد سليمان القانوني في مدينة طرابزون كان والده آنذاك واليا عليها، اهتم به والده اهتماما عظيما، فنشأ محبا للعلم والأدب والعلماء والأدباء و الفقهاء، واشتهر منذ شبابه بالجدية الوقار، ارتقى عرش السلطنة في السادسة والعشرين من عمره وكان متأنيا في جميع شؤونه ولا يتعجل في الأعمال التي يريد تنفيذها، بل كان يفكر بعمق ثم يقرر وإذا اتخذ قرار لا يرجع عنه..للمزيد أنظر: علي محمد الصلابي نفس المرجع السابق، ص 200.

[2] الزياني، نفس المصدر السابق ص 128.

[3] الزياني ، نفس المصدر السابق ص 96-97.

[4] الزياني ، نفس المصدر السابق ص 99.

[5] سنحق:وحدة إدارية عرفت في الدولة العثمانية باسم اللواء وتقابل في الأدرن معنى اللواء ويترأسها حاكم يطلق عليه اسم أيضا سنجق.للمزيد أنظر: يحي محمد نبهان، نفس المرجع السابق ، ص 167.

[6] الزياني ، نفس المصدر السابق ص 97.

والرايس والبحرية والقبطان.''[1] بالإضافة إلى قوله :''حتى الخط الجيد عندهم يقولون خط رومي.وعمارتها دائرة بمرساها، والمراكب من الأغربة...''[2] وأضاف كذلك بالحديث عن المراسي:''...والمعونات والبراكش والغلايط والفراقط والزوارق والصنادل في المرسى كالنمل [3]كان العثمانيون يستوردون الأقمشة اللآزمة من أجل الأشرعة[4]

لقد كانت الإنطلاقة الفعلية للبحرية العثمانية مباشرة بعد فتح القسطنطينية، حيث ورث العثمانيون أسطولا بحريا بيزنطيا لا يستهان به، وبمجرد اتخاذ استانبول عاصمة، عمل محمد الفاتح على خلق ترسانة عامرة بها، كما توجه الأسطول العثماني إلى البحر الأسود ليفتح بعض القواعد البحرية الأساسية.[5]

أما خليل اينالجيك قال :''..كالحكومة والمراسيم والجيش. وكان على رأس هذه التشكيلات ال (مير علم) وقابيجي باشي وال (قابيجلر كتخداسي) و ال (ميراخور) وال (جاقرجي باشي) وال (جاشنكير باشي)

وال (جاو باشي) وإلى جانب هؤلاء كان قادة العسكر كآغا الإنشكارية وال (سيباهي بولوكلري آغالري) قادة وحدات الفرسان وال (جبجي باشي) مسؤول الدروع وال (طوبجي باشي) قائد المدفعية[6]

لم يكن للإمارة العثمانية عند قيامها جيش نظامي تعتمد عليه، وقد وقع عبء الفتوح الأولى على عاتق المجاهدين والباحثين عن الغنائم وجماعات الدراويش، وكانوا كلهم من الفرسان، فيجتمعون في مكان محدد عن طريق المنادين ثم يخرجون إلى الحرب، فإذا انتهت الحرب تفرقت جموعهم وعاد كل واحد إلى عمله الأساسي .والواقع أن العثمانيون اعتمدوا، منذ أول ظهورهم في التاريخ، نظاما اقطاعيا كان الهدف منه تأمين تأمين مصدر ثابت لإمداد جيوشهم بالجند...لهذا كان من الطبيعي أن يسمى لإنشاء جيش من المشاة دائم ومنحرف، وهذا ما سمحت الظروف تحقيقه في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وذلك باستخدام كالحكومة والمراسيم والجيش. وكان على رأس هذه التشكيلات ال (مير علم) وقابيجي باشي و ال (قابيجلر كتخداسي) و ال (ميراخور) وال (جاقرجي باشي) وال (جاشنكير باشي) وال (جاو باشي) وإلى جانب هؤلاء كان قادة العسكر كآغا الإنشكارية وال (سيباهي بولوكلري آغالري) قادة وحدات الفرسان وال (جبجي

[1] التمغروطي ،نفس المصدر السابق ص 121.
[2] التمغروطي، نفس المصدر السابق ص 113.
[3] التمغروطي، نفسه ص 114.
[4] علي حسون ، نفس المرجع السابق، ص 395.
[5] عبد الرحيم بنحادة ، نفس المرجع السابق، ص 134.
[6] اينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ،تر :محمد م الارناؤوط ،ط2،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،2014،ص128

باشي) مسؤول الدروع وال (طوبجي باشي) قائد المدفعيةعنصر غير تركي ،وهو نظام عسكري جديد وحيث كان العثمانيون يأخذون الغنائم والأسرى وحسب قانون اورخان[1]الذي ينص على أن تحصل الدولة على خمس اسرى في الحرب مقابل الضريبة وهذا ما يعرف بضريبة الغلمان أو دوشيرمة[2].[3]أما الخيالة فقد خضعوا لتنظيم أشد أحكاما في عهد اورحان وتألف جيشهم من فرسان انتقوا بإحكام ودقة . وشكلت فرقعهم الأربع فرقة الخيالة ...وإلى جانب هذه الفرق الأربع كان هنالك كتائب الفرسان الإقطاعية المعفوة من الضرائب والخاضعة لإمرة بيكوات السناجق.[4]

2-المدافع والحصون:

لقد ذكر الزياني في كتابه وقال:"ولما بلغ خبر موته بايع الناس السلطان عثمان الغازي وخطب له ختنه الشيخ ارذبالي مولانا طورستان الفقيه بمدينة قرا حصار، على متسع وتسعين وستمائة واستمر على غزو الروم إلى أن فتحوا مدن الانضولي وقطعوا الخليج إلى الروملي[5] وفتحوا مدنه إلى أن فتحوا الاسطنبول [6]، عام سبع وخمسين وثمانمائة ..."[7]تحدث بهذا الخصوص التمغروطي وقال:"وشرق مدينة قسطنيطية بغار آخر أضيق

[1] أورخان: ولد السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازي عام 680 للهجرة، وما بلغ سن المراهقة حتى ظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء ، ومال إلى حمل السلاح، ومصافحة البيض الصفاح، ورموب الخيل والإختلاط مع الأبطال من الرجال، والنزول إلى ميادين الوغى والقتال ....للمزيد أنظر في عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2014، ص 36.

[2] دوشيرمة:مصطلح أطلق في الدولة العثمانية على أولاد النصارى الذين تم جلبهم للإلتحاق بالسلك العسكري بشكل خاص وتتزواح أعمارهم بين 8إلى 15 سنة من العمر، وتتوافر فيهم اللياقة البدنية، وقد بدأ بجلب الأولاد أي استحداث هذا النظام في عهد يلدريم بايزيد، ولا سيما بعد إنهزامه في معركة أنقرة، و كانوا في أول الأمر يجلبون من رعايا الدولة في ألبانيا واليونان و بلغاريا وصربيا والبوسنة والهرسك والمجر، ثم في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي بدأ بجلبهم من نصارى الأناضول...للمزيد أنظر: سهيل صابان، نفس المرجع الساق،ص115.

[3] سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ،دار النفاش،ط 3، لبنان، 2013،ص 34

[4] علي حسون، نفس المرجع السابق، ص391.

[5] الروملي: الاسم الذي أطلق على أراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوروبا. وانتقل إلى اللغة العربية باسم الرومي..للمزيد أنظر:سهيل صابان ، نفس المرجع السابق، ص 129.

[6] اسطنبول: عرفت قديما بيزنطة، مدينة تاريخية كبرى في تركيا على البوسفور بين خليج القرن الذهبي وبحر مرمرة، عاصمة الدولة العثمانية وفتحها محمد الفاتح 1453م بها ما يزيد على 1500 مسجد على الطراز العثماني والذي تأثر بالتراث المعماري للحضارات السابقة... للمزيد أنظر في يحي محمد بنهبان، معجم مصطلحات التاريخ، ط1،دار الفكر،دمشق، سوريا،1990. ص65.

[7] الزياني، نفس المصدر السابق ص 129.

من هذا الغار المذكور ينفذ إلى بحر واسع اسمه قردنكز،ومعناه بحر أسود[1] ،ثم حصن [2]كلبل وهو مدينة حصينة كثيرة العمارة .[3]

خص العثمانيون فائق عنايتهم بهذا السلاح منذ أيامهم الأولى....وعرف الجيش العثماني حتى زمن السلطان بايزيد الثاني فرقة خاصة بالمدفعية (طوبجي)بلغ عدد أفرادها ألف رجل . وفي عهد السلطان سليمان الكبير تشكلت فرقة مدفعية جبلية مع احتياجاتها التمنوية.[4]

[1] بحر أسود:بحر داخلي بين أوروبا وآسيا يتصل ببحر إيجه من خلال البوسفور وبحر مرمرة والدردنيل، ولقد أحكم العثمانيون سيطرتهم على المنطقة المحيطة بالبحر الأسود لفترة طويلة في التاريخ الإسلامي.للمزيد أنظر يحي محمد نبهان، نفس المرجع السابق ص 69.

[2] حصن: القلعة التي تكون في رأس الجبل وتسمى قلعة، والتي تكون على وجه الأرض تسمى حصنا، كقلعة دمشق.للمزيد أنظر: محمد أحمد وهبان،نفس المرجع السابق ،ص 62.

[3] التمغروطي، نفس المصدر السابق ،ص 110

[4] علي حسون، نفس المرجع السابق، ص 393.

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي

يعتبر اقتصاد **الدولة** العثمانية نواة نظامها فساعدها وساهم في تطورها، يرجع ذلك إلى اهماماتها في مختلف النظام الاقتصادي سواء من خلال الصناعة، الزراعة، التجارة، الأسواق، فقد وصفها المؤرخون بانها الاقتصاد العالمي هي في حد ذاتها نظرا لما تحتويه من تنوع في الأسواق التي تجذب التجار من المشرق والمغرب ،تستمد الدولة العثمانية قوتها الإقتصادية نظرا لاحتوائها على الموارد الطبيعية ساعدها هذا في اسقرارها السياسي .فقد عمل العمانيون على توسيع إمبراطوريتهم غلى غاية أوروبا الشرقية قاموا بنقل الحرفيين الماهرين إلى عاصمتهم .

1-الصناعة: تكلم الزياني عن الأغا الذي كان نزل، إذ هو المسؤول عن الأماكن عندهم بالأصطنبول كبيت المال ودار الضرب التي تخدم بها سكة الذهب و الفضة أو كما هو شائع سك العملة ،دار الصنعة ، دار القز ،يخدم فيها الوشي و الديباح و الطرزو الألوية و الستور لدار المملكة أما دار الزجاج تقوم بصنع الزجاج ، والبلور والطرسانة التي تنشأ بها المراكب القرصانية. دار الهمدسة يتعلم فيها علم الهندسة و الحساب و التنجيم.

دار الكاغيط تنتج بها أنواع أجناس الورق و أنواعه حيث وصف هذه الدار أنها مصنوعة كلها من الكاغط أي حيطانها و سقفها و فراشها،[1] أما المكناسي فقال عنها أها تسمى بكاغيد خانه فقد كان يصنع الكاغد باسم المكان [2]وجميع ألاتها حتى ألات المطبخ ، دار العدة التي يصنع بها ألة العرب. دار النيشان يتعلمون بها رماية المدافع، الطرسانة التي تضع فيها المراكب الجهادية.[3]

لقد وصف التمغروطي بأن سكان القسطنطينية يصنعون ثيابا من جلود يسمونها الكورك والسمور[4]

تعتبر الصناعة الحربية من أهم الصناعات التي أولاها التي أولاها العثمانيون أهمية فائقة باعتبار الحاجة الماسة للمعدات الحربية من أجل التوسع أولا والدفاع على المكتسبات المجالية، أما إذا أتينا للحديث عن صناعة الأسلحة منذ نهاية القرن الرابع عشر وعملوا على تطوير السلاح الناري بما يساهم في تمكينهم من مستوى العدة ..وعندما فتحت القسطنطينية كانت أولى المنشآت التي أقيمت زمن السلطان محمد الفاتح الطوبخانة العامرة .

[1] الزياني، نفس المصدر ص 99

[2] المكناسي، نفس المصدر السابق ص 104.

[3] الزياني، نفس المصدر ص 99

[4] التمغروطي، نفس المصدر السابق ص 121.

كما أنتج العثمانيون أنواعا مختلفة من المدافع، واختلفت في أحجامها ووقوتها إلى جانب ذلك صناعة السفن فقد ورص العثمانيون عددا من الترسانات (دار صناعة السفن)، ومن أهمها ترسانة سينوب التي كانت متواجدة على البحر الأسود أما بالنسبة إلى الحرف والصنائع في الدولة العثمانية فقد تركزت بشكل كبير في المجلات التي تتوفر بها المواد الأولية .[1]

2-الزراعة :

أما من الجانب الزراعي فقد حدثنا الزياني عن تنوع الأشجار حيث قال:''كل الأوراق عليها هذا بالبياض على الخضرة في الأوراق، بالبياض على السواد في القشور، ورأينا قشرة كقشر شجر الجوز، وقشرة شجر الصفصاف، وهو أشبه شئ بالصفصاف،[2] وأضاف على ذلك بقوله:''ومنها سرنا في غابة من شجر الأرز ،[3] ولقد اخبرنا التمغروطي أنواع الفواكه كالعنب والتفاح الإجاص والبطيخ وغيرها...[4] وهذا يدل على تنوع القطاع الزراعي عند الدولة العثمانية، ولقد أكد على ذلك المكناسي وقال:''وأما من الخيرات تفصيلا فشيء لا تفي به عبارة ، أما الفواكه والخضر الصيفية والخريفية فلا تنقطع أبدا، فالتفاح والكمتري و البطيخ و الدلاع والعنب موجود فيها السنة كلها حتى تظهر الفاكهة الجديدة ..''[5]

3-التجارة:

كانت السلع في الدولة العثمانية سواءا تلك المنتجة محليا او تلك التي تستورد من الخارج ينظر إليها أولا تجار الجملة ثم يبيعونها للتجار الصغار، وقبل هذه العملية كانت السلع تصل أولا إلى مكان الميزان، وكانت تنتشر في كل المدن الكبرى من الدولة العثمانية، وهي في الغالب الأعم مؤسسات وقفية تأخذ مكانها داخل مجمعات معمارية ضخمة.[6]

4-الأسواق:

[1] عبد الرحيم بنحادة ، نفس المرجع السابق، ص 171-180.
[2] الزياني، نفس المصدر السابق ص 170.
[3] الزياني ، نفس المصدر السابق ، ص 175.
[4] التمغروطي، نفس المصدر السابق، ص 121.
[5] المكناسي، نفس المصدر السابق ،ص 74.
[6] عبد الرحيم بنحادة ، نفس المرجع السابق، ص 186.

وتطرق الزياني إلى هذا الجانب وقال عنه: ''فيها من الأسواق والحرف والحومات وديار –الصناعات والأرحية، والطواجن، وارحية الريح، والأفران والسبائل، والزوارق والقهاوي فشئ لا يحصى..[1] كما وصف المكناسي أسواقها وقال عنها أنها ولها الأسواق العامرة بالأشياء الغامرة التي لا تتناهى..[2] كما تنوعت أسواقها كانت في المدن الكبرى والمعروفة ب ''اوزون جارشي'' أو ''قبالى جارشي'' بالإضافة إلى البازارات وهي عبارة عن أسواق متحركة تنظم كل يوم في حي مختلف، وبعضها يقام بالقرب من الجامع تنظم يوم الجمعة، أما الأسواق الموسمية المعروفة ب''بانار'' وكانت تعقد مرة كل سنة، وكانت غالبا ما تعقد داخل الأوقاف الضخمة كالخانات.[3]

5–حيواناتها:

وقال الزياني أن مدينة اسطنبول لا تملك البغال لذلك يقوم أهلها بشرائها من مدينة بورصة ،وأن أهل الأتراك لا يركبون على الخيل حتى لا تزول قوتها وهم يركبون الخيل من أجل الذهاب إلى السوق، كما يأتي أهل البادية بالغنم والبقر حيث تباع صغارها، أما كبارها فهي للذبح والأكل.[4] ،أما التمغروطي فتكلم عنها وقيل له أن الشاه تذبح كل يوم خمس عشر ألف .[5]

[1] الزياني ، نفس المصدر السابق، ص 116.
[2] المكناسي، نفس المصدر السابق، ص 72.
[3] عبد الرحيم بنحادة ، نفس المرجع السابق، ص 186.
[4] الزياني ، نفس المصدر السابق ،ص 172.
[5] التمغروطي ، نفس المصدر السابق، ص 117.

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية والاجتماعية

المطلب الأول:الوضع الاجتماعي

المطلب الثاني :الوضع الثقافي والديني

الوضع الإجتماعي

1- المجتمع

2- المدن

3- العادات والتقاليد

4- الاحتفالات

5- حسن الضيافة

6- اللباس

الوضع الثقافي و الديني

الوضع الثقافي

1-التعليم

2- اللغة

3- العلماء

4-الطب

5-الخزائن

6-الزوايا والتكايا

الوضع الديني:

1- الديانة

2- الصلاة

3- المساجد

4- الأضرحة

المطلب الأول: الوضع الإجتماعي

1-المجتمع:

تناول الزياني الجانب الاجتماعي بشكلمختصر، إذ يتكون مجتمعهم العثماني من طبقى عامة وتضم حاشية السلطان وخدامه أما الطبقة الثانية فهي خاصة للتجار والحرفيين، أما المكناسي ولم يفصل فيها، وانما ركز على الطبقة الحاكمة وكبار أعيان الدولة . أي أن السفير كان شحيحا في طرحه للمعلومات الاجتماعية، وربما يعود إلى كون ذلك هذه الطبقة كانت أكثر من احتك به المكناسي مقارنة بباقي فئات المجتمع العثماني وذلك يرجع إلى طبيعة مهمته.[1]

2-المدن:

لقد نقل لنا الزياني أسماء المدن وطريقة بنائها وما يميزها من مياني وفنادق حيث قال:''أول منزل نزلناه من الاسكدار[2] قرية يقال عنها قرطل،على أربع ساعات ومنها لقرية قبره....في الزوارق وسرنا ساعة إلى قرية يقال لها جارسك كولي، ومنها دخلنا في جبال .....ثم لها قاوركدي وبالعربي قرية الكفار، ...ومنها إلى لقرية عنها خان أي بمعنى فندق الوزير،و هذا الخان كان بناه الوزير سنان باشا وهو فندق كبير كأنه مدينة بنزل به الحجاج ....''وبها حمامت يغتسلون به ومياهه ساخنة مثل حمام اسمه حمام القدرة ..[3]،كما وصف التمغروطي بالحديث عن مدينة سكدار وقال فيها ديار ومساكن و مساجد و رياض ومتنزهات السلطان[4]

[1] عمار سراح،صورة الدولة العثمانية في الرحلات المغاربة خلال القرن 18 ''رحلة ابن عثمان المكناسي أنموذجا''،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ،رقم،13،جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله، 2018،ص132.

[2] اسكدار: مدينة في تركية الآسيوية(الأناضول)، على البوسفور. بنيت فوق منحدر على شكل مدرجات مقابل القسطنطية. فيها مساجد جميلة، ومقبرة تركية كبيرة. كانت المدينة فيما مضى تابعة لمدينة خلقيدونة (قاضي كوي).تعد اليوم ضاحية من ضواحي استانبول..لمزيد انظر في كتاب س. موستراس، نفس المرجع السابق، ص 66.

[3] لزياني، نفس المصدر السابق ،ص 175

[4] التمغروطي ،نفس المصدر السابق، ص 121.

أما منازلها فهي مبنية من خشب حيث قال عنها الزيانيي:''مسقفة على متن الوادي، مربوطة بسلاسل في القنطرة، وفي داخلها أرحية تطحن القمح بدولاب..'' ومن ثم زيارة عدة مدن أخرى وهي مدينة بيلان وانطاكية [1]سماها الزياني بأنطاكية العظمى وقال عنها كانت من أعظم الحواضر [2]

كما أضاف التمغروطي في كتابه بالحديث عن مدينة اسطنبول وقال هذه المدينة واسعة جدا مسورة كثيرة الأبواب والعمارة والمساجد والجوامع والأسواق والحمامات والفنادق،وهي قاعدة بلاد الروم وكرسي مملكتهم ومدينة قيصر ..[3]كما وصف مدينة القسنطنطية حيث يقول:''وأزقة هذه المدينة كلها مفروشة بالحجر واسعة الطرق والدكاكين.وبناء ديارهم ضعيف أكثره بالعود لكثرته عندهم، ولذلك تقع فيها النار سريعا، والحجر والأجر قليل لا يبني به إلا القليل من الأكابر والأغنياء...سوار من حجر واقفة في الهواء طويلة بعضها على قواعد وبعضها راسخة في الأرض .[4]

3-العادات والتقاليد:

لقد تطرق الزياني بالحديث عن أهل مدينة الاسكدار خلال ثلاثة أشهر من السنة وهي رجب وشعبان ورمضان يقومون بإخراج الصدقات للفقراء والمساكين حيث قال:''وفي يوم العشرين رجب قطع الحجاج خليج الاسطنبول لتلك العدوة وضربت الخيام خارج مدينة الاسكدار في بسيط من الأرض ولأهل هذه المملكة اعتناء عظيم بالأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان تسرج منهم المساجد كلها والمؤاذن والأسواق في كل ليلة من لياليها ويخرجون الصدقات للفقراء والمساكن والغرباء وتبيت الأسواق عامرة موقودة والسكك كذلك ...''[5]

[1]أنطاكية: مدينة في تركية الآسيوية [الأناضول] على الخليج الذي يحمل الاسم نفسه .مركز لواء تكه، في ولاية قره مان . أسس أنطاليه ملك برغمه أتالوس الثاني، فبناها فوق صخرة، على ارتفاع 70قدما تقريبا عن سطح البحر. منها ركب القديس بطرس البحر متوجها إلى أنطاقية.للمزيد أنظر س.موستواس، نفس المرجع السابق، ص 114.

[2] التمغروطي ،نفس المصدر السابق، ،ص177

[3]التمغروطي ، نفس المصدر السابق ص113.

[4]التمغروطي ، نفس المصدر السابق ، ص 120

[5]الزياني ،نفس المصدر السابق، ص 173

4-**الاحتفالات**:

كما تطرق الزياني وهو يروي لنا عن كيفية احتفالهم بمدينة الاسكدار حيث قال :''ولما كان يوم الثاني والعشرين وهو يوم الجمعة أمرنا أمين الصرة بالخروج بعد صلاتها ولما الصرة أمامه في موكب عظيم ومعه الوزير والأمراء وأهل المناصب كلها وأعيان الناس وعامتهم بطبول ومزامير وطرنبات والهندقة فلا تسمع إلا أصواتها بكل ناحية ..''[1]

أما المكناسي فنقل لنا واقع زفاف أميرة وقال :''اجتمع الناس على طبقاتهم ووجوه الدولة على مراتبهم بباب السلطان، وكان يوما مشهودا ، وأنشأ الناس في الشوارع المتسعة والأسواق مراتب ومقاعد من الخشب[2]

كما أضاف على ذلك زواج السلاطين فقد تطرق وتكلم :''لك البشارة بملك الدنيا والسطنة ، ويعلو أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك، وإني زوجتك ابنتي هذه فقبل عثمان بك وتزوجها...[3] التمغروطي وقال عن الزواج :''وأما تزويج الحرائر وطلب الأولاد أزهد الناس في ذلك، وإنما عندهم السريات والمملوكات من بنات الروم والشراكسة والصقلية والمجوس. والمماليك عندهم أفضل من أولادهم و أعز بكثير يزوجونهم بناتهم وحتى السلطان لا يزوج بناته إلا لممالكه.''[4]، بالإضافة على هذا فيقال عن الزواج أنه ليست سوى كتابة عقد شرعي برغبة المتعاقدين بالزواج في حضرة القاضي، ويحدد في العقد قيمة المهر الذي يقدمه الزوج للزوجة، ويتم ذلك بحضور شهود .[5]

أما بالنسبة للإحتفال بالعبد النبوي الشريف فقد ذكر المكناسي في كتابه :''فيجعلون الموسم في غير محله ،فقد كانت ليلة الموسم ليلة الثلاثاء فتجاوزها إلى ليلة الأربعاء، فأرقدوا جميع منارات القسطنطينة ، وفي صبيحة يوم الأربعاء الثالث عشر من ربيع النبوي ،اجتمع الناس بمسجد السلطان أحمد وتوجهنا في جملة الناس

[1] الزياني ،نفس المصدر السابق، ص 174

[2] المكاسي ،نفس المصدر السابق، ص 100.

[3] الزياني ،،نفس المصدر السابق، ص 129.

[4] التمغروطي ، ،نفس المصدر السابق، ص 125.

[5] أتفيانو بون، نفس المصدر السابق ،ص 166.

مغسلين وصلينا به الصبح ،ومن العادة أيضا عندهم أن الذين يقرأون المديح ،حين يصلون في المديح إلى ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ..يقوم السلطان والناس إجلالا له صلى الله عليه وسلم ....[1]

5–حسن الضيافة:

نقصد بذلك إكرام الضيف الذي يقصد الدولة العثمانية ،ولقد حدثنا الزياني عن الضيافة تصادف مع الكاهي باي أو مهماندار [2]قال عنه أنه خليفة الوزير الأعظم ويسمى عندهم الكاهية وهو يجيد اللغة العربية بحكم أنه من أصول ملوك أفريقية ومصر قال للزياني أنه يستضيف كل ليلة خمسين يبيتون عنده،[3] و عند بلوغهم عند السلطان فقدموا لهم الطعام والحلويات بالإضافة إلى المرقدات والفوانيد ثم الأشربة والقهوة.[4]،

كما أخبرنا التمغروطي فقد قدم أحد الوزراء أطعمة متنوعة بالإضافة إلى أنواع الشراب حيث قال: ''وقد دخلنا منزل رجل من وزراء السلطان وبنت السلطان زوجه فأضافنا بأنواع الأطعمة وألوانها مختلفة وأربة سكر وعسل مطيبة بأنواع الطيب.''[5]كما أضاف المكناسي عند استقباله خلال رحلته فقال:'' ثم أوتي بالقهوة فشربنا وتلك عندهم عادة لازمة، ثم بعدها طيف علينا بكئوس من البلور فيها شراب حلو ، ثم أتوا بعده بالطيب والبخور ...[6]

6–اللباس:

لقد أشار الزياني في كتابه نوع اللباس عند الأتراك حيث قال:''قبيبة مربعة الشكل من عمل الاسنطنبول ولها خوامي وشبابيك ..''[7]بالإضافة إلى ذلك بقوله الشال والكرك والقفاطين [8]

[1] المكناسي ، نفس المصدر السابق، ص 103.

[2] مهماندار: الموظف المسؤول عن استقبال السفراء حين قدومهم إلى استانبول وتقديم الضيافة الآزمة والإكرام لهم، وكان يتم اختياره في الغالب من أفراد قابجي باشي..للمزيد أنظر في سهيل صابان، نفس المرجع السابق ص 217.

[3] الزياني ،نفس المصدر السابق ص 99.

[4] الزياني ،نفس المصدر السابق ص 124.

[5] التمغروطي ، نفس المصدر السابق، ص 120.

[6] المكناسي ،نفس المصدر السابق ص 62.

[7] الزياني ،نفس المصدر السابق ،ص 172.

[8] الزياني ،نفس المصدر السابق ص 98.

كما تطرق التمغروطي عن لباسهم وهذا بخص كل طبقات المجتمع ، حيث قال: والغلمان والأعلاج من الحبش والروم وقوفا صفوفا أمامه، كل واحد لا يشبه الآخر في الحسن والجمال، عليهم قفاطين وأقبياء مختلفة الألوان من الديباج[1] والبركاض، لباس الواحد لا يشبه الآخر...كما أضاف إلى هذا أن سكانها يصنعون ملابسهم من جلود حيوان وهو الكورك ،ويقول:'' يساوي ثوب واحد من رفيعها ألف أوقية وأكثر..''[2]

[1] الديباج: هو عبارة عن ثوب الحرير[الإبريسم] سداته ولحمته ويقال معرب .للمزيد أنظر:محمد أحمد وهمان، نفس المرجع،ص 78.

[2] التمغروطي،نفس المصدر السابق ، ص 121.

المطلب الثاني:الوضع الثقافي والديني:

الوضع الثقافي:

يعد التعليم أحد الجوانب المهمة لكل دولة تعرف التطور والتقدم، مما دفع بالعثمانيين بوضع مجموعة من الإصلاحات أهمها التعليم خاصة في عهد السلطان العثماني عبد الحميد بعد ما كان اهتمامه النظام العسكري لذلك أراد أن يضع توازن في مجال التعليم أيضا ولقد أنشا مدراس متعددة لعبت دورا هاما في نقل المعارف، يلاحظ أن عددها كان يتوافق مع التطور السياسي والإقتصادي ،ولقد عرف هذا المجال بالدرجة الأولىعل تعليم الأمور الدينية كما هو الحال بالنسبة للأقاليم الأخرى ، إذ اعتمدت على نظام تعليم الكبار في المدارس التقليدية الإسلامية حيث كانت مخصصة للعلوم الدينية فقط أما نظام تعليم الصغار في مدارس الصبيان ، فقد كان في عهد السلطان محمد الفاتح والسلطان سليمان القانوني قاموا بفتح عدة مدراس وبالرغم من ذلك لم يتوافق الزمن مع مجال التعليم وقل الإهتمام به تدريجيا ، فانعكس سلبا على الدولة العثمانية نتج عن ذلك تخلف وتدهور .

1-التعليم: المدارس:

كما أتيحت للزياني فرصة إطلاعه على خزائن الكتب الوقوف على نظام التدريس في المدارس التركية ،أعلى رتبة المدرس المدرسة السليمانية حيث تضم خمس مدارس يتقاضى معلمها في كل شهر خمس وخمسين قرشا، مدرس موصلة السليمانية فيها خمس و أربعون مدرسة يتقاضى كل هر من وقفها خمسون قرشا ،مدرس حركة التمثيلي ضمن خمسة و ثلاثين مدرسة يتقاضى كل واحد منهم خمس و أربعون قراشا، مدرس رتبة التمثل مضاف له ثلاثون مدرسة في الشهر من الوقف خمس و ثلاثون قرشا ،مدرسة رتبة الحصن مضاف له ثمانية مدارس ،له من الوقف في كل الشهر عشرون قرشا و هذه المدارس الثمانية هي التي بناها السلطان محمد الفاتح ،لما فتح الإصطنبول و بنى مسجده و أدارها به رحمه الله، مدرس موصلة الصحن،له من الوقف في كل شهر عشرون قراشا و مضاف إليه ثمانين مدرسة ،مدرسة حركة الداخل مضاف له ستون مدرسة ،له في كل شهر من الوقف عشرة قروش .[1] وأما التمغروطي فأخبرنا أنه سكان مدينة القسطينطية[2] يستعملون هذه

[1] الزياني، نفس المصدر السابق ،ص 112

[2] الشسطنطينية: كانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية [البيزنطية]وسميت بهذا الاسم نسبة إلى إمبراطور قسطنطين وسماها العثمانيين [إسلام بول] أي مدينة الإسلام ،وعرفت فيما بعد باسم استانبول والآستانة وظلت عاصمة للدولة العثمانية حتى عام 1924 وعندما ألغى مصطفى

المدينة كهيئة المدارس و الزوايا يقولون لها بلغتهم التكية للواحدة، يبنون فيها بيوتا للطلبة العلم والغرباء، يطعمون فيها الطعام على الدوام ليلا ونهارا، لكن الغريب الذي ليس بطالب العلم، [1]

ثم حدثنا الزياني عن المدارس والدرسين حيث يتلازم المدرس القراءة، فإن حصل على علم وطلب الإمتحان ودخل لدار التمييز واختبروه المميزون من حملة من يختبرون فإنه كان يتوجه بها لشيخ الإسلام فيسرح له بالتدريس في إحدى المدارس الصغرى، وفي كل سنة ينتقل لمدرسة فوقها، وإن اختبروه وسيطا يرجع للقراءة وان كان أدنى يرجع حتى يفتح عليه، وأما كيفية اختيار المعلمين بدار التمييز أن يأتيها في أول يوم من السنة اثنا عشر رجلا من الفقهاء ، فمن أجاب عن الأكثر يكتب له فلان قريب الأعلى ومن أجاب عن النصف

يكتب له فلان وسط، ومن أجاب عن أقل من النصف يكتب له فلان أدنى ،فالأعلى يسرح له التدريس ومن دونه يرجع لملازمة القراءة إلى سنة قابلة ، ويدخل الدار مرة أخرى وهكذا إلى أن يحصل على المرغوب[2]

ولقد كانت مدارس أخرى تأسست في عهد السلطان الفاتح وهي بجانب الجامع الذي بناه في عهده الذي في استانبول حيث أطلق عليها اسم صحن ثمان، كما اقام بعض المدارس الصغيرة ذات مستوى أدنى وذلك من أجل إعداد طلاب مؤهلين للدراسة في هذه المدارس العثمانية. ولقد امر الفاتح بتخصيص دروس خاصة في مدرستين من مدراسه للراغبين في التدريس مدارس الصبيان بعد تخرجهم، ومنع التعيين فيها لمن لم يتلق دروس الصرف و النحو العربي، البلاغة (المعاني، البيان، البديع....) المنطق والمحاسبة بالإضافة العلوم الدينية والرياضيات ، الهندسة وعلم الهيأة [3] بالإضافة غلى المدارس التي تأسست في عهد السلطان سليمان القانوني مدارس عديدة نذكر منها: سيلمانية مدرسة سي أي المدرسة السيلمانية والتي حملت اسمه ضف إلى ذلك اسس مدرسة للطب ودار الشفا ذلك من أجل تلبية حاجيات الجيش ، كما أنشأ أربع مدارس لتعليم علوم الرياضيات، ودار الحديث ولم يقتصر إنشاء هذه المدارس في استانبول وحدها، بل تم نشرها في المراكز الكبيرة من الاناضول .

كمال أتاتورك مؤسس الجمهورية التركية الحديثة الخلافة و حولها إلى جمهورية فأصبحت أنقرة عاصمة للدولة..للمزيد أنظر: يحي محمد نبهان، نفس المرجع السابق،ص 220.

[1] التمغروطي، نفس المصدر السابق، ص 121.

[2] الزياني ،نفس المصدر السابق، ص 112-113.

3 فاضل بيات، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول، 2012، ص 15.

كما عرفت شهدت هذه الفترة مايعرف بالمدارس الرشدية و في تزايد عددها ، ولم يكن القائمون بالتدريس في هذه المدارس مؤهلين من الناحيتين العلمية و التربوية للعمل فيها ، الامر الذي ادى إلى زيادة الحاجة إلى معلمين قادرين على التدريس فيها. فاسست الدولة في سنة 1848 اول مدرسة لإعداد المعلمين في استانبول تحت اسم دار المعلمين.[1]

2-اللغة:

من المعروف أن لغة التدريس في المدارس العثمانية الحديثة هي اللغة الرسمية أي التركية العثمانية كما كان تدريس اللغتين العربية والفارسية الزاميا في كل المدارس العثمانية بكل مراحلها الدراسية، أما اللغة الفرنسية تدرس كلغة أجنبية اجبارية في كافة المراحل الدراسية في معظم الممدارس .[2]

3-**العلماء:**أخبرنا الزياني عن بعض العلماء نذكر منهم :

3-1شيخ الإسلام :

هو مفتي السلطة العظمى و هو بمنزلة الوزير الأعظم لا يوليه ولا يعزله إلا السلطان متى شاء، على العام أو العشرة كالوزير و له في كل سنة من بيت المال ،في كل شهر قروش ألفان و سبعمائة كان مولى أو معزولا .[3]

إن المفتي أو شيخ الإسلام هو أعلى مرتبة دينية يحملها رجل دين ،وهذا المنصب لا يصل إليه إلا كل من توفرت فيه شروط العلم الديني الواسع ،فيجب أن يكون عالما بأمور الشريعة الإسلامية وأن يكون متخرجا من مدرسة دينية درس فيها جميع العلوم الإسلامية ،ولقد لقب المفتي بشيخ الإسلام إحتراما له ولمنصبه الديني الرفيع .وكان مفتي استنبول هو الذي يقوم بتعيين مفتين للولايات العثمانية .[4]

[1] فاضل بيات، نفس المرجع السابق ، ص15.
[2] فاضل بيات، نفس المرجع السابق، ص 30.
[3] الزياني، نفس المصدر السابق ص 111.
[4] تسيير جباره ،تاريخ الدولة العثمانية ص 79

3-2كمال الدين باشا[1]:

بالإضافة إلى ذلك تكلم الزياني في كتابه عن أحد الكتاب الذي رافقه لكونه يعرف العربية وكان يتصف العلم والأدب وحسن و ذكر أشيخه الذين أخذ عنهم يردودها لمحلها غلي ان يوجه الوزير للمعلم الذي يكتبها في ورقة الفضة بالذهب و تجعل الورقة في الربيعة مع الأوراق و هذا الوزير هو الذي

أتحفني بمطالبة تأليف الروح الذي ألفه كمال الدين باشا في سنة 1200هـ/1785م و هو كتاب يتبادل سيرة ملوك ال عثمان و تاريخ دولتهم حتى عهد السلطان عبد الحميد الأول . [2]

الخلف، فأخبره عن سبب دخولهم لبر الروم،وكل ما يتعلق بالدبن والمساجد العلم.[3]

3-3 سليمان أفندي:

ولقد مدحه الزياني بحسن ضيافته واستقباله في بيته حيث قال:'' ولما كنت بأزمير وصليت يوم الجمعة مسجد المرسى اجتمعت بكاتب الدولة سليمان أفندي الواقف مع الحاكم يحصى مستفاد المرسى و مستفاد الجزية، فالزمني المسير معه إلى بيته وكان عزبا و أولاده بالأسطنبول فأكرم مقدمنا وقال والله إني أحبك و مستحيي منك في أمر الضيافة لأن عيالي بالأسطنبول...''[4]

3-4 **الشيخ اسماعيل الجزاعي**:تحدث الزياني وقال عنه أنه كان يحسن اللغة العربية وقال:ولما أصبحنا على السفر قدم علينا ووادعنا إلى خارج البلد سدده الله ،وتوجهت لمدينة أنطاكية ولما بلغتها قدم للسلام على الفقيه النبيه المؤرخ الوجيه مفتي الحنفية الشيخ اسماعيل الجزاعي الذي كان مجاورا لنا بالمحل الذي نزلت به، وكان

[1] كمال باشا زاده: المعروف كذلك بابن كمال هو شيخ الإسلام التاسع في الدولة العثمانية عاش في عهد السلطان بايزيد الثاني وسليم الاول وسليمان القانوني. بدأ حياته جنديا، ثم جلس مجلس التلميذ من عالم من جهابذة العصر يسمى (ملا لطفي)، كما تلقى العلم على كثير غيره من علماء العصر، فتضلع منه، فانخرط في سلك العلماء. تولى القضاء في مدينة أدرنة ، كما اشتغل بالتدريس في مدرسة السلطان..للمزيد انظر :حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، دار الثقافة للنشر، ط 1 ، القاهرة ، 2004، ص 112.

[2] الزياني، ،نفس المصدر السابق، ص 103.

[3] الزياني، ،نفس المصدر السابق، ص 127.

[4] الزياني ، نفس المصدر السابق،ص 282.

أعجوبة في الأدب و التاريخ يحسن اللسان العربي، فدخل في أثره رجل من أهل بلده فكلمه بالتركي والمفتي يضحك والتفت إلي وقال يا شيخ هذا رجل أختل من عقله..."[1]

4-**الطب**: فقد كان يعمل فيه طبيبان واخصائي للعيون وجراح وصيدلي،بالإضافة إلى المدير ومساعديه.وكان هناك أيضا طباخان يقامان بإعداد الوجبات تحت المراقبة الطبية. وإلى جانب هؤلاء كان يعمل في المستشفى ممرضان. وهما مكلفان حسب الوقفية بالمعاملة اللطيفة للمرضى.[2]

5-الخزائن:

تكلم هنا الزياني بما تتميز به الدولة العثمانية من خزائن وقال: "مسجد الملوك العشرة التي باصطنبول كل مسجد يدخله به خزانة الكتب التي به، و هي عبارة عن دار عظيمة بابها في المسجد المسيحي و بها مقاعد كثيرة ،أما الطلبة فعددهم لا يحصى ،منهم من ينسخ و منهم من يطبع ،بعد العصر يخرجون ،ولا تعار الكتب ولا تخرج من الخزانة حرصا على حفظها و صيانة لها."[3]

وأضاف على هذا المكناسي و قال:"وأما ما في هذه المدينة من خزائن الكتب المعتبرة ، التي لا يوجد مثلها في سائر البلاد فشئ لا يفي به ولا يؤديه تعبير ،كل مسجد له خزانة وهناك خزائن أخرى من غير المساجد، ويظل الجميع مفتوحا والقيم حاضر..."[4] ،أما التمغروطي فقال عن فقهائها يدرسون التفسير والنحو والتصريف والبيان والبديع وعلم الكلام وغيرها ، والكتب بهذه المدينة لا تحصى .[5]

6-الزوايا والتكايا:

لقد لعبت الزوايا دورا مهما في الإمبراطورية العثمانية، وخاصة في الفترة المبكرة، حيث كانت نموذجا متقدما للعمارات .وكانت الزاوية عبارة عن منشأة خيرية يؤسسها شيخ أو درويش ليضيف المسافرين في المدن أو على الأغلب في الطرق، وكان الشيخ أو الدرويش المؤسس للزاوية .[6]ولا يمكن بأي حال أن نغفل الدور

[1] الزياني،،نفس المصدر السابق ص 278.
[2] اينالجيك، نفس المرجع السابق، ص222.
[3] الزياني ، ،نفس المصدر السابق ،ص 103.
[4] المكناسي ،،نفس المصدر السابق، ص 92.
[5] التمغروطي، نفس المصدر السابق ،ص 128.
[6] اينالجيك، نفس المرجع السابق ص 231.

الذي لعبته التكايا والزوايا في نقل المعرفة، فالزوايا كما في سائر البلاد الإسلامية كان لها دورها التثقيفي، حيث كانت هي الأخرى أيضا عبارة عن أماكن للتعليم والتربية واكتساب المعارف الدنية .[1]

كما تكلم الزياني بهذا الخصوص وذكر الشيخ العارف أرذبالي القرماني وكان يبيت بزاويته ...[2]

الوضع الديني:

1- الديانة:

أعلمنا الزياني أنهم يتبعون المذهب الحنفي بقوله: ''أعطاني الوزير اختصار المواهب الأربع، في سفر، وتأليف الدرر المتداول عندهم في الفقه الحنفي كخليل عند المالكية، وشرحه المسمى بالغرر على الدور، في سفرين كالزرقاني[3] ولقد أضاف التمغروطي حيث قال:''ولقينا في هذه المدينة من فيها من الفقهاء والعلماء وأكثرهم حنفيون..''[4]، كما قال لويس برنارد في كتابه وقال: ''كان من المألوف بين مسيحي أوروبا في زمن ما أن يستعملوا كلمة ترك كمترادف لكلمة مسلم، يقولوا عن أي شخص اهتدى إلى الإسلام بأنه أصبح تركا، ولم يكن هذا التعبير بعيدا عن النطق. فإن الإمبراطورية العثمانية من مبدأ نشوئها إلى نهاية أمرها كانت دولة إسلامية، نذرت نفسها أولا لحمل راية الإسلام إلى أقطار جديدة.''[5]، أما عقيدة الأتراك فهم يؤمنون بأن الله القادر على كل شيء خالق الكون مخلص جميع الصالحين يوم الحساب، وبأن الله في السماء تطيعه الملائكة.[6]

2- آداء الصلاة:

تحدث الزياني عن الصلاة وقال:''...فخرجنا لمحلنا الأول، فتنقلنا، ودخل الإمام ، فأقام الصلاة المؤذن، ووقفنا الثلاثة في صف، ودخل المفاتي خلفنا ملأوا القبة على سعتها ولما سلم الإمام خرجوا دفعة واحدة أظنهم نحو المائة كلهم مفاتي، سود وبيض.

[1] عبد الرحيم بنحادة ، نفس المرجع السابق، ص 279.
[2] الزياني، نفس المصدر السابق، ص 128.
[3] الزياني، نفس المصدر السابق ،ص 127.
[4] التمغروطي، نفس المصدر السابق، ص 125
[5] برنارد ، نفس المرجع السابق، ص 177
[6] أتفينو بون ،نفس المصدر السابق ،ص 167.

ولما فرغنا من الصلاة، وصلى السلطان في قبته مع اهل خدمته القائمين بأشغاله..."[1]

الصلاة في أيام الأسبوع عددها خمس صلوات، وفي يوم الجمعة الذي هو مثل الأحد عند المسيحين ست صلوات، وتؤدى هذه الصلوات في المساجد والبيوت، بل في الشوارع أيضا ، وهي صلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء و صلاة الشروق، وأما الجمعة فينادى في الناس في كل الضواحي بنداء أو ندائين مرتفعين جدا وذلك عوض من الأجراس.[2]

3- المساجد: ومن منهم من مساجد السلاطين نذكر منهم:

3-1مسجد السلمانية:

عند دخول الزياني إلي مسجد السليمانية[3] وفي خزانتها العظمى، وضع امامهم قيمها الربيعة و هي عبارة عن صندوق حسب التعبير الدارج بالمغرب الأقصى و الربيعة العربية ،تعد هذه الأخيرة فهرسة السلطان سليمان أعظم أعظم ملوكهم و أعلمهم مكتوبة في أوراق من الفضة على شكل أوراق القزدير ،كتابتها بالتركي ،مصنوعة من الفضة ،مطعمة بحروف من ذهب ،ذكر لهم القيم على الخزانة أن فيها نسبة إلى جده سليمان شاه الداخل ،وصارت هذه الفهرسة عندهم أصلا معتبرا كل ملك منهم يأتون بها محمولة في كدش إلى دار السلطنة يحملونها على رؤوسهم و يذكرون الله علانية ،و توضع بين يدي السلطان وشيخ الإسلام و إلقاء والعلماء و الوزارء و الأمراء حيث يكتب شيخ الإسلام البيعة و فيها يرتفع نسبة إلى سليمان ،[4]أما التمغروطي فقد وصفه وقال عنه أبهج وأرح وأفسح [5] أما لويس برنارد فقال بالرغم من أن هذا الجامع يعكس التقاء كل التأثيرات الفارسية والبيزنطية فيه، فإن ثمة شيئا جديدا مختلفا، عثمانيا يلاحظ فيه صورة واضحة وذلك التباين المنسجم بين مآذنها وقبابها .[6]

3-2مسجد أيا صوفيا:

[1] الزياني ، نفس المصدر السابق، ص 124.

2 أتفيانو بون، نفس المصدر السابق، ص 172.

[3] سلمانية:مدينة في تركية الآسيوية ،مركز اللواء الذي يحمل الإسم نفسه، في ولاية بغداد وشهرزور.س.ستراس، تر:....ص 305.

[4] الزياني ، نفس المصدر السابق ص103

[5] التمغروطي ،نفس المصدر السابق ، ص 117

[6] برنارد ، نفس المرجع السابق ص 138.

إذ من أعظم مباني الدولة العثمانية مسجد أية صوفيا كانت في عهد الكفار، ولما فتحها السلطان محمد بن مراد عام 875هـ سميت بأية صوفيا ، حيث سميت باسم بابنتها صوفيا أم الطاغي القسطنطين ملك الروم لما أكملت بناءها أوقفت عليها أموالا كثيرة و رباعا إردادات بها ثلاثمائة حجرة و أربعا و ستون حجرة بعدد أيام السنة العجمية في كل حجرة رهيبان يقرآن أناجيلهما كل يوم و يهديان ثوابها لصوفيا طواها من الباب إلي المحراب ثلاثمائة و خمسة و عشرون قدما. و لها بلاطان عن اليمين وعن الشمال، عرض كل واحد منها سبغة و خمسون قدما من حساب القبة،و فوقها بلاطان محمولان عللى سواري عظام من الرخام لهما مدارج من القبة يشرف نت يصلي بهما على القبة و خلفهما بلاطان أخران أحدهما عن اليمين والأخر عن الشمال ابوابهما من القبة عرض كل واحد منهما خمسون قدما. هما من حساب المسجد و بها يكمل عرض القبة لطولها ثلاثمائة و خمسة و عشرون ،عند صعودهم إلى الأعلى وجدوا به تصويرا و نقوشا و أكالا غريبة و بعد أن محيت ألوانها فتحها المسلمون و لا زالت أشكالها قائمة الرسوم.[1]

كما أضاف التمغروطي بقوله فيها مساجد عامرة بذكر الله، من أعظمها المسجد الجامع الذي على باب قصر الملك الذي يقولون له أية صوفيا هي من البنيان القديم الذي هو من أعجب أبنية الدنيا .لا يحيط به الواصف ولا يدرك إلا بالمشاهدة...وقال به مصاحف القرآن على مرافع . وعلى يمينه وشماله شمعات مرفوعة على حسكات مذهبية ومبخرات.وفرش مايلي المحراب إلى نحو نصف القبة بزراب وطنافس رفيعة .وفيه كراس للتدريس والمؤذنين، مرفوعة على أعمدة من رخام أبيض الذهب على رؤوسها. وبخارج المسجد مآذن عدة دائر بها قناديل خارجها توقد بها في رمضان كما في داخل المسجد.[2]

3-3جامع السلطان محمد:

وقد أشاد المهندس اليوناني خريستو دولوس بناءا على إشارة من السلطان محمد .ويقع وسط العاصمة استانبول وهو من أروع الأعمال المعمارية الهنددسية وأجملها. أشيد على أنقاض كنسية كانت فيما مضى مدفنا

[1] الزياني ، نفس المصدر السابق ،ص 115.

[2] التمغروطي ، نفس المصدر السابق ص 114.

للأباطرة . ولمرات عدة تهدم هذا المسجد إثر زلزال القوية التي كان آخرها عام 1181 هـ وعندها عدل التصميم.[1]

كما حدثنا الزياني عن بعض المساجد الأخرى نذكر منها مسجد العثمانية الذي بناه السلطان عثمان، وأعظم مسجد بناه السلطان أحمد الباني ثم مسجد السلطان مصطفى وهو في غاية الفخامة والإتقان، وفيه غرابة الصنع، ثم مسجد السلطان بايزيد، ومثلثه مسجد السلطان ابراهيم، بالإضافة إلى مسجد السلطان سليم، وأخيرا مسجد علي باشا الوزير الأعظم، ولقد أضاف بهذا الشأن أن عدد مساجد الخطب بحسب ما قاله الشيخ سلميان أفندي صاحب الدفاتر قد بلغ مائتان وسبعون.[2]

3-4مسجد بايزيد الأول[3]: يأخذ المسجد الشكل المقلوب الشكل المقلوب T

مع قبة تستند إلى دعامات ثقيلة وأروقة جانبية مغطاة بثلاث قباب صغيرة و رواق مغطى بخمس قباب، ولكن في منظور جديد إيجاد اتصال أوسع بين ما كان في الأصل قاعات منفصلة ...ويعتبر المسجد مكعبا هائلا من الحجر يطغى على قبة عرها 21 مترا وارتفاعها 19 مترا، وهو تخطيط غير خاذق ، لكنه ينعكس في النهر، حيث يندرج من جهة الحائط القبلي مدرستان جد واطئتين، بما يتمشى في آن واحد مع التخطيط ذي الاوينات الأربعة وتخطيط المساجد المتعددة القباب.[4]

أما من مساجد العامة فقد تكلم الزياني بهذا الخصوص وقال عنها:'' وهذا الخان الذي بناه الوزير سنان باشا رحمه الله ...بها مسجد للخطبة، ومدينة سكوت بها احد عشرة مسجدا للخطبة،..[5]

4-الأضرحة:

4-1قبر الشيخ إبي أيوب الأنصاري[1] :

[1]علي حسون، نفس المرجع السابق، ص 372

[2]الزياني ، نفس المصدر السابق ص 116.

[3] بايزيد الأول: ولد عام 761هـ ، وجلس على كرسي الملك بعد وفاة والده الطيب الذكر عام 791 وله من العمر ثلاثون عاما، ولقب بالبرق لخفته ومهارته بالحرب، وكان أخوه الأكبر يعقوب خان أولى بالخلافة منه بالنظر لكونه الكبير، ولكي يأمن من منازعته قتله، فلامه رجال السلطنة على ذلك ....للمزيد أنظر: عزتلو يوسف بك آصاف، نفس المرجع السابق، ص 41.

[4]روبير ماتران ، الدولة العثمانية،تر:بشير السباعي، ط1،ج 2،القاهرة،1993 ص 379.

[5]الزياني، نفس المصدر السابق ، ص 175.

بعد هذا حدثنا الزياني عند زيارته لقبر أبي أيوب الأنصاري وهو موجود في مدينة أيوب سلطان .[2]

ولقد أضاف على عند زيارته لضريح أبي أيوب الأنصاري لكي يطلب الغفران حيث قال:'' أردت أن أطهر بدني ما تعلق به من الأوساخ والأدناس التي اثقلت كاهلنا، بالقصد لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة و السلام، ونطلبه ما سلف منا من الأثام...''[3]

كما وصفه التمغروطي خلال رحلته بقوله أكثر ما يزور قبر أبي أيوب الأنصاري يركب إليه في البحر غالبا وفي البحر أحيانا لا يغب عنه. له مقام عظيم :جامع خطبة وأوقاف كثيرة .والقبر مكسو بالحرير دائر به عدة مصاحف على مرافعها يقرأ فيها الزوار ويوقد عليه عدة شمعات دائرة بالروضة مركوزة على حسكات مذهبية. والباب بوابون وحجاب،يزدحم الناس على زيارته كل وقت. وأكابر الدولة يتنافسون في الدفن بجواره ويشترون

مواضع قبورهم بأغلى ثمن.[4]

[1]أيوب الأنصاري: هو احد صحابة النبي ممن توفي في إحدى عمليات الفتوح بالقرب من أسوار القسطنطينية سنة 670، واكتشف قبره في القرن الرابع عشر، وشيد ضريح و جامع حوالي 1456-1457، وأصبح منذ ذلك الحين سيد وولي استانبول المسلمة. ومنذ اكتشافه ظل قبر أيوب الأنصاري محجا لكل الأتراك بل هناك اعتقاد في أن الحج لا يكتمل إلا بزيارة قبر هذا الصحابي..للمزيد أنظر : عبد الرحيم بنحادة ، نفس المرجع السابق، ص 93.

[2]لزياني ، نفس المصدر السابق ،ص 100

[3]الزياني ، نفس المصدر السابق ص 168.

[4]لتمغروطي ،نفس المصدر السابق ص ص 116 -117-118

الخاتمة

وفي نهاية موضوعنا الشيق هذا كنا قد استخلصنا أن هذه الدراسة المتواضعة لجنس الرحلة متمثلة في رحلة الترجمانة الكبرى لصاحبها الزياني، مناسبة لتعميق معرفتنا بجنس نثري عربي، احتفل به المغاربة، وأجادوا فيه أيما إجادة، وقد اتضح بجلاء من خلال ما تقدم ذكره مدى الحاجة لإعداد بحث يتخذ المتن الرحلي في كتاب الترجمانة موضوعا له، يبحث عن خصائصه ومميزاته، وسماته الأدبية.

وقد حاولنا قدر المستطاع تجلية بعض هذه الخصائص والسمات، من خلال دراسة وصفية لمضمون الترجمانة وما اشتملت عليه من أخبار، تكتسي طابعا علميا فنيا، على عادة الرحالين في كتابة نصوصهم الرحلية.

جمع الزياني بين النقد و التحليل و نقل الحقائق و لذلك يمكن القول أن الزياني العلامة المؤرخ ينتمي إلى طينة المؤرخين المبدعين الذين تجاوزوا طريقة التأريخ التقليدي في اتجاه المنهج التاريخي و الجغرافي كما ذكرنا أن الزياني ألف كتابه الترجمانة و أهداه للسلطان المولى سليمان ، وتحدث الزياني باستفاضة كبيرة عن دول أوروبا وعن عواصمها و علاقتها بالمغرب وساق أخبار الدول الإسلامية بطريقة أصيلة تستدعي أدوات العلم و العمران بدل الإقتصار على الوصف و السرد.

ولقد لخص الزياني في كتابه الترجمانة الكبرى وهي عبارة عن موسوعة أدبية و تاريخية و جغرافية و عقائدية و فكرية شاملة جامعة بمعارف عصرها و العصور السابقة، واعتمد على النقد و الحقيقة و التحليل فهو مؤرخ صادق و لم يكتب مؤلفاته لمصلحة ذاتية أو لغاية دنيوية بقدر ما كان لنشر ثقافة العلم و إفادة أمته.

أما عن متعة الأدب، نجد بأن الزياني يضمن ترجمانته أشعر كثيرة مختلفة المضامين، ومتفاوتة القيمة الفنية، إما من إبداعه، أو من إبداع غيره من الماضين، أو المعاصرين الذين ينشددهم وينشدونه. فالرحالة وهو يحلي رحلته بالشعر، إنما يفعل ذلك تحت تأثير المكانة العالية للشعر في الثقافة العربية.، وهو يورد هذه الأشعار، بين الفينة والأخرى، يسعى إلى إمتاع القارئ بهذا الخطاب الشعري الجميل، وإلى رفع قيمة رحلته باحتوائها عددا وافرا من الأشعار التي توظف في سياقات مختلفة. وهذه الأشعار في الترجمانة لا تخرج في مجملها عن ست أغراض, وهي: المديح النبوي، ومدح الولاة، والإخوانيات، والهجاء, والزهد والشكوى، والوصف.

من خلال دراستنا للموضوع قمنا بالإجابة على الإشكاليات المطروحة في بداية موضوعنا وتمثلت هذه الإجابات في مايلي:

- ✓ ينحدر أبو القاسم الزياني من قبيلة زيان المتواجدة بالقرب من جبال الأطلس المتوسط.
- ✓ ترك أبو القاسم الزياني بعد وفاته عددا كبيرا من المؤلفات بلغت حوالي 15 مصنفا شملت مختلف العلوم والفنون كالتاريخ والجغرافيا والأدب، والفقه، والانساب والتراجم وغيرها،كان أهمها الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً. وقد قال عنه مؤلفه في خاتمته «هذه الرحلة المسماة الترجمانة الكبرى التي جمعت مدن المعمورة كلها براً وبحرا». الأصل في الترجمانة أنها تدور حول صاحبها. فهي أساساً سيرة ذاتية،
- ✓ أعجب الزياني بالجانب السياسي بما فيها من نظام الحكم، واحوال القصر بالإضافة إلى مكانة السلطان في دولته، لا يخفى لنا أنه تكلم عن مختلف التشكيلات العسكرية
- ✓ وصف لنا الزياني في رحلته عن مدن كثيرة بما في ذلك من قصور كسراية السلطان ومساجد كمسجد أية صوفيا والسلمانية، بالإضافة إلى زيارته الأضرحة كقبر أيوب الأنصاري ضف إلى هذا أبهر بمدينة القسطنطينية حيث تتميز بموقعها الاستراتيجي.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1- أبو القاسم بن أحمد الزياني، الوجيز من الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمور برا و بحرا ، تح: محمد المنصور، ط1، دار أدكل للطباعة والنشر،الرباط، 2016م

2- أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا و بحرا 1147-1249هـ الموافق لـ 1734-1904م، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، د. ت. ط.

3- التمغروطي ،النفخة المسكية في السفارة المسكية تح: عبد اللطيف الشاذلي ، دط ، المطبعة الملكية ،الرباط،المغرب،1991.

4- الزياني أبو القاسم ، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تح: رشيد االزاوية، القسم الأول، مركز الدراسات و البحوث العربية، المغرب،دت.

5- المكناسي، رحلة المكناسي (احراز المعلى و الرقيب) تح : محمد بوكبوط، ط1 ، دار السويدي أبوظبي ، الإمارات العربية المتحدة ،200

6- بون أتفيانو ، سراي السلطان ،تر:زيد عبد الرواضية ، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة، أبو ظبي ، 2014 .

ثانيا المراجع:

1- الصلابي علي محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، ط1، دار التوزيع و النشر ،الأندلس، 2001،.

2- آرثر جولد شميت، قاموس تراجم مصر الحديثة ، ترجمة عبد الوهاب بكر، ط1 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2003م.

3- الغاشي مصطفى ، الرحلة المغربية و الشرق العثماني- محاولة في بناء الصورة ، ط1، دار الانتشار العربي، بيروت، 2005م.

4- الغزال احمد بن مهدي ، نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد ، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

5- الفاسي محمد ، الكاتب الوزير ابن عثمان المكناسي، دار كريم اديس للطباعة، تطوان، 1960.

6- المدني أحمد توفيق ، عثمان باشا داي الجزائر 1761-1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

7- المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492 - 1792،ط 3 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009

8- المكناسي ابن عثمان ، الإكسير في فكاك الأسير، سلسلة الرحلات السفرية المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1965.

9- النازي عبد الهادي ، الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، ط 1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ،المغرب، 1965.

10-اينالجيك خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ،تر : محمد الارناؤوط ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،2014

11-بحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، دط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.

12-برنارد لويس، استنبول و حضارة الخلافة الإسلامية،تع: سيد رضوان علي ،ط2،دار السعودية، الرياض، 1982.

13-بروفنسال ليفي، مؤرخو الشرفاء، تر:عبد القادر الخلادي ، د ط ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط، 1977.

14-بن منصور عبد الوهاب ،أعلام المغرب العربي، ج 2، د ط ، المطبعة الملكية، الرباط ، 1979.

15-بنحادة عبد الرحيم ، العثمانيون المؤسسات و الإقتصاد و الثقافة ، دار البيضاء النجاح الجديدة، ط2008،،1.

16-بيات فاضل ، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي ، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية ،استانبول، 2012.

17-جبارة،تاريخ الدولة العثمانية ،ب د ،فلسطين ، 2015.

18-حركات ابراهيم، التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1994م، .

19-داهش محمد علي : العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث 1650 - 1830 ، حولية كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد 18 السنة 1995

20-روبير ماتران ، الدولة العثمانية ، تر:بشير السباعي، ط1، ج 2، القاهرة،1993.

21-الزبيري محمد بن العربي ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1958

22-سعد الله زغلول عبد الحميد ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، دط ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق بغداد، محمد حرب، السلطان العثماني آخر السلطانيين العثمانيين الكبار ،ط1، دار القلم ، بيروت ، 1990م

23-سعيدوني ناصر الدين ، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الاسلامي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ،الجزائر 1999م.

24-سهيل طقوش،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفاش، ط 3،لبنان، 2013.

25-عبد الهادي النازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب،أكاديمية المملكة المغربية، ج 1988،9.

26- فهمي عبد السلام عبد العزيز ، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ط5 ، دار القلم دمشق، سوريا، 1993

27- كنون عبد الله، مشاهير ذكريات رجال المغرب في العلم و الأدب و السياسة، ج1، ط1، دار ابن حزم، الدار البيضاء، 2010.

28- محمود محمد محفوظ، وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة مج 4، ط 2، دار الجيل ،بيروت، د. ت. ط .

29- محمود علي عامر و آخرون ، تاريخ المغرب العربي الحديث ، دط ، ددن ، جامعة دمشق ،دت،.

30- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الاسلامي،ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزاء

31- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء، 1955،ج9،

32- يوليانوفيتش كراتشكوفسكي براهيم أغناطيوس ، تاريخ الادب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، ج2، 1957م، جامعة الدول العربية

ثالثا: المجلات:

1- الدباغ محمد بن عبد العزيز ، أبو القاسم الزياني مؤرخ الدولة العلوية في كتاب الترجمانة الكبرى ، مجلة دعوة الحق، ع3، السنة 13، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب،1970.

2- سراح عمار ، صورة الدولة العثمانية في الرحلات المغاربة خلال القرن 18 "رحلة ابن عثمان المكناسي أنموذجا"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، رقم 13، جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله.

رابعا الملتقيات:

1- الحادك قاسم ، مصر القرن الثامن عشر من خلال الترجمانة الكبرى ل أبي القاسم الزياني، الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية المصرية، مج1،جمع وتنسيق : علي أحمد فليفل ، المندوبية السامية لقدماء المقاولين و أعضاء جيش التحرير،الرباط،2018م.

2- حواش محمد ، صورة لمشرق من خلال الترجمانة الكبرى ، مكونات الصورة و حدود التأويل ، ضمن أعمال ندوتي المغرب ، المشرق العلاقات و الصورة المنعقدة في مارس 1994م ، جامعة القاضي عياض ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بني ملال ،المغرب 1999م.

3- الخيلي عبد الحق ، رحلة أبو القاسم الزياني إلى الأستانة 1200هـ- 1786 م السياق و النتائج ، ج 2،تنسيق البشير أب رزاق،ط1، 2020م،

4- العربي حمدي، التأليف التاريخي في العهد العلوي، أبو القاسم الزياني نموذجا، ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية، وجدة ،المغرب،1993 م

5- زيادة نيكولا ،أبو القاسم الزياني و كتابه الترجمان الكبرى ،ضمن كتاب افريقيات: دراسة في المغرب العربي و السودان الغربي ،ط1، منشورات رياض الريس للكتب و النشر لندن ، 1991م.

خامسا قائمة الموسوعات والمعاجم:

1- آصاف عزتلو يوسف بك ، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر،2014،

2- س. موستراس ، نر: عصام محمد الشحادات، المعجم الجغرافي الأمبراطورية العثمانية ،دار ابنحزم ، ط 1،2002،

3- حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، دار الثقافة للنشر، ط 1 ،القاهرة، 2004

4- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000،

5- وهبان محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط1، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سورية ،1990.

6- يحي محمد بنهبان، معجم مصطلحات التاريخ، ط1،دار الفكر،دمشق، سوريا،1990.

الملاحق

الملحق رقم (1)

قلعة حصار روملي



المصدر : خليل إينالجك، المصدر السابق، ص202.

الملحق رقم (02)

قلعة الأناضول



المصدر المحامي،المرجع السابق،ص 222.محمد فريد بك

الملحق رقم (03)

خريطة القسطنطينية (اسمانبول) ويظهر عليها

١- السور القديم
٢- سور قسطنطين (٣٣٠ م)
٣- سور تيودوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠ م)
٤- سور هرقل
٥- سور غلطة القديم
٦- السلسلة التي سد بها المضيق
٧- الطريق التي أزلق عليها الفاتح سفنه



المصدر أحمد فؤاد متولي، المرجع السابق،ص292

الملحق رقم (04)



المصدر علي حسون، المرجع السابق،ص 428 .

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر	
إهداء	
مقدمة	3
مبحث تمهيدي	10
المبحث الأول: تعريف بالكاتب والكتاب	19
المطلب الأول :تعريف الكاتب	20
أ–حياته	20
ب–مسيرته	22
ت–مهامه	23
ث–مؤلفاته	24
تعريف الكتاب	28
مراحل الرحلة	30
سير الرحلة	31
أهمية الرحلة	32
مكونات الرحلة	34
المبحث الثاني:الأوضاع السياسية و الإقتصادية	37
المطلب الأول: الوضع السياسي	37
الديوان	40
أعضاء الديوان	41
الوضع العسكري	47
1–السفن و المراسي	48
2–المدافع والحصون	50
المطلب الثاني: الوضع الإقتصادي	52
الصناعة	52
الزراعة	52
الأسواق	52
الحيوانات	54
المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية و الدينية	57

المطلب الأول: الوضع الإجتماعي	57
المجتمع	57
المدن	57
العادات و التقاليد	58
الإحتفالات	59
حسن الضيافة	60
اللباس	60
المطلب الثاني: الوضع الثقافي و الديني	62
الوضع الثقافي	62
التعليم	62
اللغة	64
العلماء	64
الطب	66
الخزائن	66
الزوايا والتكايا	66
الوضع الديني	67
الديانة	67
أداء الصلاة	67
المساجد	68
الأضرحة	70
خاتمة	73
قائمة البيبلوغرافيا	76
ملاحق	81